

# الأصوات اللغوية

تأليف

دكتور إبراهيم انيس

B.A. و PH.D. ( من جامعة لندن )

مدرس بكلية دار العلوم

مكتب النشر  
مكتبة نهضة مصر ومطبعها بمصر

---

مطبعة نهضة مصر

1923

1923

# الأصوات اللغوية

تأليف

دكتور إبراهيم انيس

B.A. و PH.D. (من جامعة لندن)

مدرس بكلية دار العلوم

ملزم النشر  
مكتبة نفقة مصر ومطبعها بمصر

---

مطبعة نفقة مصر





## مقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحان من نخص الإنسان بالنطق المبين ، فسما به فوق المخلوقات  
الأخرى ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالعربية . وبعد :  
فهذا كتاب في دراسة قد تبدو حديثة في بلادنا ، ولسكنها ازدهرت  
وتأصلت بين من يمتنون بالبحث اللغوي في أوروبا . وقد يحب بعض  
القراء أن يسمى ما تعرضت له في هذا الكتاب بالبحث « الفوناتيكي »  
Phonetics ، ولسكني أوتر أن أنسبه إلى فرع « الفونولوجي » Phonology  
لأن « الفوناتيكي » يعنى بالأصوات الإنسانية شرحاً وتحليلاً ، ويجرى  
علمها التجارب دون نظر إلى ما تنتمي إليه من لغات ، وإلى أثر تلك  
الأصوات في اللغة من الناحية العملية . فهو لهذا عالمي ، كونت له هيئة  
عالمية تبكشت لنا كل يوم عن أصوات إنسانية كانت مجهولة . أما فرع  
« الفونولوجي » فيعنى كل العناية بأثر الصوت اللغوي في تركيب الكلام  
نحوه وصرفه ، ولهذا يمكن أن يطلق عليه علم الأصوات الذي يخدم  
بنية الكلمات وتركيب الجمل .

على أن الفرعين قد يلتقيان في ميدان واحد ويشتركان معاً في  
البحث في عدة نقاط . فحودهما متشابهة ، يصعب تحديد الفواصل بينهما  
تحديداً دقيقاً .

وقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة الى عصورهم . وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربي ، ولا سيما في الترتيل القرآني الحسن ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية واتصالهم بفصحاء العرب كانوا امرهني ، دقيقى الملاحظة . فوصفوا لنا الصوت العربى وصفاً أثار دهشة المستشرقين وأعجابهم . غير أن المتأخرين منهم قد اكتفوا بترديد كلمات المتقدمين دون فهم لها أو نظر فيها ، فقد أصاب بعض هذه الأصوات تطور لم يلاحظوه ولم يفطنوا اليه . ووقفوا بهذا حيث وقف القدماء ، لم يستكملوا تلك البحوث القيمة ، بل رووها مبتورة حيناً ، ومبسوخة حيناً آخر .

فلما كان العصر الحديث واتصلت ثقافتنا بثقافات أوربا ، ورأينا لعلماء اللغات فيها تلك التجارب الصوتية التى يخيّل لناظر إليها أنها نوع من السحر ، بدأ بعض أعضاء البعثات اللغوية يعنون بهذا الأمر ويحاولون الانتفاع به فى خدمة اللغة العربية .

وكتابى هذا وان كان الأول من نوعه فى اللغة العربية ، لا أدعى له الكمال فى كل نواحيه ، وإنما أعده مجهوداً متواضعاً أبغى به نشر طرف من هذه الثقافة اللغوية بين من يعنون بالبحث اللغوى فى مصر ، راجياً أن ينتفع به طلاب الجامعات المصرية والمعاهد العالية فى دراساتهم اللغوية .

إبراهيم أنيس

## الفصل الأول

(١)

### ظاهرة الصوت

الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل ان ندرك كنهها . فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق اليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم مهتز ؛ على أن تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات . كما أثبتوا أن هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى يصل إلى الأذن الانسانية .

والهواء هو الوسط الذي تنتقل خلاله الهزات في معظم الحالات خلاله تنتقل الهزات من مصدر الصوت في شكل موجات حتى تصل إلى الأذن . وسرعة الصوت كما قدرها العلماء هي حوالي ٣٣٢ متراً في الثانية ، أى أنها ضعف ما تقطعه أسرع طائفة عرفت حتى الآن . ويطمح علماء الطيران في أن يصلوا بسرعة طائراتهم إلى مثل سرعة الصوت .

وتتوقف شدة الصوت أو ارتفاعه على بعد الأذن من مصدر الصوت ، فعلى قدر قرب الأذن من ذلك المصدر يكون وضوح الصوت وشدته . كما تتوقف شدة الصوت على سعة الاهتزازة ، وهى المسافة المحصورة بين الوضع الأصلي للجسم المهتز وهو في حالة السكون وأقصى نقطة يصل إليها الجسم في هذه الاهتزازة . فعلى قدر اتساع هذه

المسافة يكون علو الصوت ووضوحه . هذا ويساعد على شدة الصوت أو علوه اتصال مصدره بأجسام رنانة ؛ ولهذا شدة الأوتار الموسيقية على ألواح أو صناديق رنانة ليقوى الصوت ويتضح .

أما درجة الصوت Pitch فهي المقياس الموسيقي الذي يدركه من له إلمام بفن الموسيقى ، ويقسم السلم الموسيقي الى درجات هي ما يرمز لها في الموسيقى الأوربية بالرموز .

do, re, mi, fa, sol, la, si,

سى لا صول فا مى رى دو

أما سلم الموسيقى الشرقية فلا يزال موضع خلاف بين موسيقيينا . والصوت قد يكون عميقاً وهو الذى يسميه الموسيقيون بالقرار ، كما قد يكون رفيعاً حاداً . وعلى قدر انتقال الصوت فى السلم الأوربى من do إلى si يقل عمقه أو تزداد حدة فتختلف درجته تبعاً لهذا . وصاحب الأذن الموسيقية يستطيع بسهولة التفرقة بين شدة الصوت ودرجته . ويمكن المرء أن يلاحظ هذه التفرقة حين يكون أمام آلة « الراديو » يستمع إلى أحد المغنيين يغنى لحناً ذا درجات موسيقية خاصة ، فإذا أدار المستمع زراً خاضعاً ارتفع الصوت أو انخفض أى تغيرت شدة الصوت دون أن يؤثر هذا فى درجة الصوت للحن ؛ فهى هى لم يصبها أى تغير . ودرجة الصوت كما برهن علماء الأصوات تتوقف على عدد الاهتزازات فى الثانية ؛ فإذا زادت الاهتزازات أو الذبذبات على عدد خاص ازداد الصوت حدة ؛ وبهذا تختلف درجته . وعدد الاهتزازات

في الثانية يسمى في الاصطلاح الصوتي التردد . فالصوت العميق عدد اهتزازاته في الثانية أقل من الصوت الحاد .

أما نوع الصوت فهو تلك الصفة الخاصة التي تميز صوتاً من صوت وإن اتحدنا في الدرجة . وهكذا نستطيع أن نميز صوت الكمنجة من العود رغم اتحادهما في الدرجة . وتلك هي الصفة التي تميز صوتاً إنسانياً من صوت آخر . وكثير من الناس يستطيعون التمييز بين أصوات أصدقائهم في « التليفون » بمجرد نطقهم ببعض كلمات ، ويسكيف نوع الصوت أو صفته عادة عوامل سنعرض لها فيما بعد .

## (٢)

### الصوت الإنساني

هو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة . فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف ، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن . ويمكن الصوت الإنساني معقد ، إذ يتركب من أنواع مختلفة في الشدة ومن درجات صوتية متباينة ، كما أن لكل إنسان صفة صوتية خاصة تميز صوته من صوت غيره من الناس . فليس صوت الإنسان في أثناء حديثه ذا شدة واحدة أو درجة واحدة ، بل هو متعدد الشدة والدرجة ، وهو مع هذا أيضاً ذو صفة خاصة تميزه من غيره من أصوات الناس . فالإنسان حين يتكلم تتغير درجات

صوته عند كل مقطع تقريباً ؛ ولكن الاختلاف بين تلك الدرجات ليس كبيراً كما يحدث عند الغناء ؛ فالبيان بين درجات الصوت عند الغناء أبعد منه عند الكلام . على أنه في الغناء الأوربي أبعد منه في الغناء العربي .

ومصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة أو بعبارة أدق الوتران الصوتيان فيها . فاهتزازات هذين الوترين هي التي تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجى .

وتتوقف درجة صوت المرء على سنه وجنسه ، فالأطفال والنساء أحد أصواتاً من الرجال . وذلك لأن الوترين الصوتيين في الأطفال والنساء أقصر وأقل ضخامة ، ويؤدى هذا إلى زيادة في سرعتيهما وعدد ذبذباتهما في الثانية . والطفل حين يصل إلى سن البلوغ يتضخم وتراه الصوتيان فجأة كما يطولان . ويترتب على هذا عمق في صوته يجعله أقرب إلى الرجال منه إلى النساء ؛ لأن عدد ذبذبات الوترين الطويلين الضخمين أقل كثيراً . وضخام الأجسام من الناس هم عادة عميقو الأصوات . هذا وصوت الرجل عرضة للتغير في درجته بين الخمسين والستين من عمره ..

وقد لاحظ علماء التشريح أن الوترين الصوتيين في الخصى أقصر وأقل ضخامة ، مما أدى إلى تلك الظاهرة الشائعة بين الخصيان ، وهي أن أصواتهم أشبه بأصوات النساء ، لأن عملية الخصاء قبل سن البلوغ تضمر الوترين الصوتيين .

ويتكلم الإنسان فتختلف درجة صوته عند معظم المقاطع ؛ ولكن

يندر أن يكون تغيير درجة الصوت في أثناء الكلام فجائياً بخلاف الغناء .  
وطول الوتر الصوتي في الإنسان البالغ حوالي ٢٣ مليمتراً .  
ويمتد أحياناً إلى ٢٧ مليمتراً . وعدد الذبذبات في الحنجرة كما قدرها  
جمهور العلماء يتراوح بين ٦٠ و ١٣٠٠ في الثانية .

ومن الحقائق العلمية التي تدعو إلى الدهشة والعجب أن علماء التشريح  
لم يلاحظوا أي فرق مادي بين حناجر النوع الإنساني . فحنجرة الإنسان  
ذو الصوت الرخيم الذي يسحر الألباب والعقول لا تختلف عن حنجرة  
فلاح بسيط من الناحية التشريحية . فليس في حنجرة المطرب أي عنصر  
مادي تمتاز به على حنجرة غيره من الناس ؛ وإنما الفرق في  
الموهبة التي اختص بها وهي سيطرته على عملية التنفس ، فهو أقدر من  
غيره على تنظيم تنفسه والسيطرة على الهواء المندفِع من الرئتين ، والقدرة  
على تسكييفه ، وإخضاعه لنظام خاص في جريانه من الرئتين ، حتى يصدر  
من الفم أو الأنف . هذا هو كل شيء في الغناء أو ما يسمى جمال الصوت .  
وقليل من الناس يستطيعون السيطرة على تنفسهم وإخضاعه لإرادتهم  
كما يفعل المغنون . فالمغني يستطيع بعد شيء من المِران طبعاً أن يملك زمام  
تنفسه وأن يحدد عدد ذبذبات الوترين الصوتيين كما يشاء ؛ وبذلك ينوع  
في درجات صوته كما يوحى إليه فنه . ومن تلك الدرجات الصوتية  
المتباينة يكوّن مجموعة منسجمة من الأصوات ، هي التي اصطلاحنا على  
تسميتها بالغناء الجميل . وعنصر المِران ضروري للمغني ، ولكن الاستعداد  
الشخصي هو العنصر الأساسي في جمال الصوت . وتسرف الكثرة الغالبة

من الناس في عملية التنفس أو لا تحسن استغلالها ، فيضيع النفس سدى ولا تنتظم له حال . ولا غرابة في هذا ، فليس كل الناس مغنين أو أصحاب أصوات جميلة منسجمة .

ويمكن أن نلخص العوامل التي تؤثر في درجات الصوت الإنساني فيما يلي : —

أ — السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين وتحديد نسبة ما يندفع منهما من النفس ، وتنظيم هذا حسب الإرادة .

ب — مرونة عضلات الحنجرة ، فعلى قدر هذه المرونة تتوقف درجة الصوت ، فكلما ازدادت مرونة صكّرت الذبذبات وازداد الصوت حدة .

ج — طول الوترين الصوتيين يؤثر في درجة الصوت تأثيراً عكسياً ، بمعنى أنه كلما طال الوتران الصوتيان قلت الذبذبات ، وترتب على قلتها عمق الصوت ، حتى يحصل في بعض الحالات إلى ما يسمىه الموسيقيون بالقرار .

د — ولكن نسبة شدة الوترين تؤثر تأثيراً مطرداً في درجة الصوت . فالصوت المنبعث من ذبذبة وترين مشدودين شداً محكماً يكون صوتاً حاداً كصوت المغنيات ، في حين أن غلظ الوترين في الرجال يقال من نسبة هذا التوتر ، مما يجعل درجة الصوت عند الرجال عميقة لأن عدد الذبذبات أقل .

أما شدة الصوت الإنساني فتتوقف إلى حد كبير على سعة الرئتين



ونسبة ضغط الهواء المندفع منهما . فهذا إلى توقفها أيضاً على تلك الفراغات المضخمة للصوت التي يمر خلالها الهواء بعد الحنجرة . ففراغ الحلق وفراغ الفم والفراغ الأنفي كلها تستغل في تضخيم الصوت ومنحه صفته الخاصة به التي تميزه من غيره من الأصوات . فهي بمثابة تلك الصناديق المجوقة التي تشد عليها أوتار الكمنجة أو العود . لأن أصوات الحنجرة وحدها ضعيفة ، ولكنها تقوى بمرورها في تلك الفراغات الرنانة . واختلاف حجم هذه الفراغات بين الناس يجعل أصواتهم المختلفة متميزة . رغم أن تلك الفراغات لا تكاد تؤثر في درجات أصواتهم ، فقد تكون متحدة الدرجات ، أى أن عدد الذبذبات في الحنجرة واحدة ، ولكن مرور تلك الذبذبات خلال الفراغات يكسبها لونا خاصاً بها يساعدنا على تمييز أصوات الأصدقاء من غيرها .

( ٣ )

### كيف بدأ الصوت اللغوي

هذا بحث طويل اضطربت فيه أقوال القدماء والمحدثين ولا نحب أن نعرض له هنا بإسهاب ، ولكننا سنكتفي بالمرور به مرأً سريعاً تاركين بحث النظريات المختلفة بصدد نشأة الكلام لمجال آخر .

لقد أجمع المحدثون (٥) على أن مرحلة الكلام عند الإنسان متأخرة

---

(٥) انظر مقالا للؤائف حول نشأة الكلام في صحيفة دار العلوم العدد

إذا قيست بتطوره فوق سطح البسيطة . وهم يرجحون أن الإنسان الأول قد حاول النطق في عصوره الحجرية ، وكان الدافع الأول لهذا النطق مجرد الصدفة . فقد نمت فيه قوة السمع قبل قوة النطق ، فسمع الأصوات الطبيعية حوله ، ولكنه لم يقلدها في هذه المرحلة ، لأن هذا يفترض له حينئذ قدرة عقلية لم يستطع المحدثون أن يتصوروها للإنسان في هذه المرحلة من حياته . فتقليده للأصوات الطبيعية حوله مرحلة متأخرة ، جاءت بعد أن حاول هو النطق أولاً . ولم يكن لنطقه الأول غرض خاص يرمى إليه بل كان عفواً أو إن شئت فقل غريزياً . وليس يعنينا أن نقف هنا طويلاً ، وإنما الذي نحاول أن نتصوره ، هو إنسان يستغل أصوات نفسه وأصوات المظاهر الطبيعية في حاجاته الأولية ، كالجاذبية الجنسية إلى أليفه ، أو محاولة صد الأعداء عنه ، أو حفظ النوع . وحفظ النوع يدعو إلى تكوين حياة اجتماعية يتصل فيها النوع الانساني ببعضه ببعض ، كما يدعو إلى الالتجاء إلى كل الوسائل لحماية النسل وبناء الوطن . فالحياة الاجتماعية منذ نشأة الإنسان هي التي ساعدت إلى حد كبير على نمو لغته . ولكن العامل الأكبر لرقى هذه اللغة وبلوغها ما بلغت ، هو ما امتاز به الإنسان من ذكاء لم يشركه فيه غيره من الحيوانات . فكثير من الحيوانات تعيش حياة اجتماعية ، ولها من الحناجر ما تستطيع به التصويت بأنواع متباينة من الأصوات ، ولكنها لم تستطع أن تنطق كما نطق الإنسان لأنها لم توهب القدرة العقلية الكافية لتكون من تلك الأصوات لغة لها . فلا غرابة إذن أن سمي القدماء الإنسان حيواناً

نأطقا ، مريدن بهذا أنه حيوان ذكى ذو قوة عقلية خارقة . وقد أظهر التشریح كبراً فى حجم المنخ الإنسانى ولا سيما الجزء الخاص بالكلام منه . وقد ساعده ذكاؤه على ترجمة الأصوات وتفسيرها ثم تقليدها . وأدى كل هذا آخر الأمر إلى تسكون لغته ذات القواعد والأصول . والغناء الإنسانى متأخر الوجود عن الكلام . وربما كان الغناء أول الأمر لمجرد الجاذبية الجنسية ولفت نظر الأليفة . ثم تطور فأصبح لأشباع رغبة فنية فى الإنسان . بل حتى الحيوانات التى تغنى ينسدر ألا يكون لها غرض خاص من غنائها . فالبلبل الذى يصدر فى الغابات يرمى بغنائه إلى إجتذاب أليفه . ولا نكاد نعتز فى عالم الحيوان على واحد منها يغنى لمجرد إشباع رغبته فى الغناء ، دون أن يكون له غرض خاص يرمى إليه . لأن حياة الحيوان شاقة مفعمة بالمآسى والجهاد فليس لديه فرصة فراغ يقتضيها فى مجرد لهو أو طرب . وربما كان الإنسان وحده دون سائر الحيوانات هو الذى يستغل اللسان والحنك والشفيتين فى تكييف صوته على النحو الذى نألفه .

( ٤ )

## أهمية السمع فى إدراك الصوت اللغوى

تصدر الأصوات من الإنسان فتنتقل أولاً خلال الهواء الخارجى على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن الإنسانية ، ومنها إلى المنخ فتترجم هناك وتفسر . فالسمع هو الحاسة الطبيعية التى لا بد منها لفهم

تلك الأصوات . ولقد سبق السمع في نمو ونشأته نمو الكلام والنطق . والسمع أقوى من الحواس الأخرى وأعم نفعاً للإنسان من النظر مثلاً في تمييز المرئيات ، ومن الشم في التعرف على الروائح . ومنزاي السمع يمكن إدراكها مما يلي :

( ١ ) إن إدراك الأصوات اللغوية عن طريق السمع يدع سائر الأعضاء حرة طليقة ، فيمكن الانتفاع بها في ضروريات الحياة الأخرى . فالتفاهم بالإشارة يحرم الإنسان من يديه وأطرافه فلا تستغل في وظائفها الأصلية التي خلقت لها . هذا إلى أن الالتجاء إلى السمع يصرف النظر إلى وظيفته الأصلية دون حاجة إلى التعبير بالنظر عما يحتاج في النفس .

( ٢ ) والسمع يدرك الأصوات من مسافة قد لا يستطيع النظر عندها إدراكاً . فحين تحول موانع من جبال ووديان لا يستطيع المرء أن يستغل حاستي النظر والشم ولكنه يدرك رغم هذا الأصوات واتجاهاتها . هذا إلى أن الصوت قد ينتقل ضد التيارات الهوائية بخلاف الشم الذي تذهب به الرياح أينما اتجهت .

( ٣ ) والسمع حاسة تستغل ليلاً ونهاراً ، وفي الظلام والنور في حين أن المرئيات لا يمكن إدراكها إلا في النور .

( ٤ ) وأخيراً وليس آخراً استطاع الإنسان أن يدرك عن طريق تلك المقاطع الصوتية التي نسميها كلاماً ، أفكاراً أرقى وأسمى مما قد يدركه بالنظر ، الذي مهما عبر فتعبيره محدود المعاني غامضها ، اللهم إلا عند الشعراء ذوي الخيال الخصب الذين يستلهمون أفكاراً سامية من

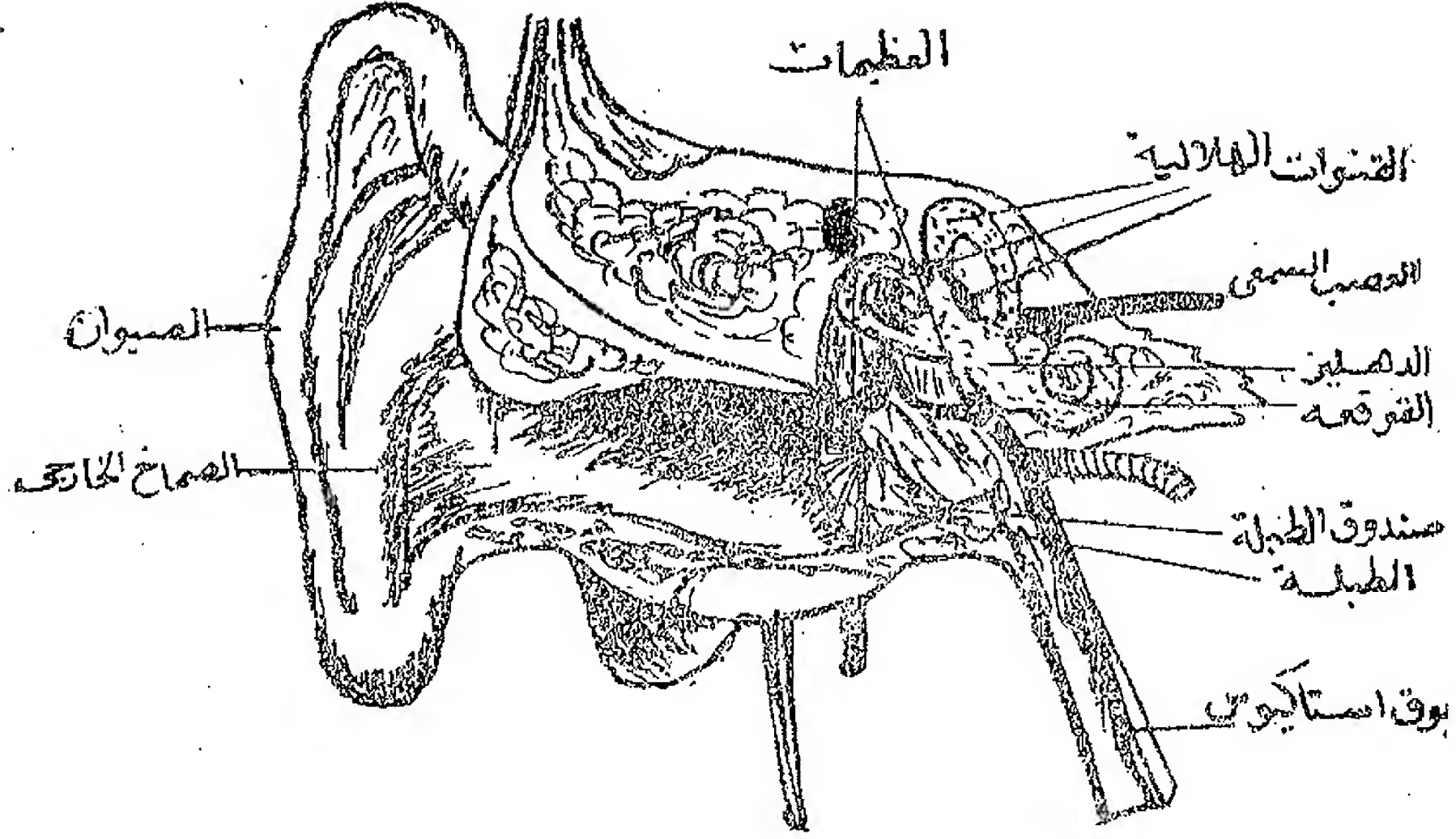
أنظرات الحسان . فاختلاف درجات الصوت وتعدددها ، وكذلك اختلاف شدته ونوعه ، كل هذا يساعد على تسكون النطق الإنسانى الذى نهض به فوق المخلوقات . وقد عبر عن هذا Romanes بكلمته الماثورة « لو لم يوهب الانسان مقدرة النطق والافصاح عما يحتاج نفسه لكان من المحتمل ألا ينهض فوق أحط أنواع القرود » .

وليس علينا لتدرك فضل السمع إلا أن نقارن بين ما يمكن أن يصل إليه إنسان فقد بصره من رقى عقل وبين آخر أصم . فالنبوغ كثير الاحتمال بين العمى ، فى حين أنه نادر بين الصم وإن كانوا مبصرين وربما لم يستغل الانسان حساسة السمع الاستغلال الكافى فى العصور القديمة ، ولكنه الآن ، وبعد اكتشاف الراديو ، أمكن أن يصبح السمع وسيلة من أهم وسائل التثقيف الشعبى والمتع النفسية ؛ بل إن ما أصابه الانسان الحديث من تقدم فى المخترعات التى يتمتع بها السمع الانسانى لأجل من تقدمه فى أية ناحية أخرى .

وأداة السمع الطبيعية هى الأذن . وهى معقدة التركيب يقسمها علماء التشريح إلى ثلاثة أقسام : الأذن الخارجية ، وتتركب من صيوان الأذن وسماعها . وتنتهى الأذن الخارجية بما يسمى عادة ببطلة الأذن . ثم يلي هذا الأذن الوسطى التى فيها عظيمات ثلاث صغيرة تسمى عادة بالمطرقة والسندان والركاب .

أما الأذن الداخلية ففىها أعضاء السمع الحقيقية ، لا تشار ألياف العصب السمعى بأجزائها . وفى الأذن الداخلية السائل الذى يسمى

بالسائل التيهي وفيه تنغمس الأعصاب السمعية .



( شكل ١ ) اجزاء الاذن

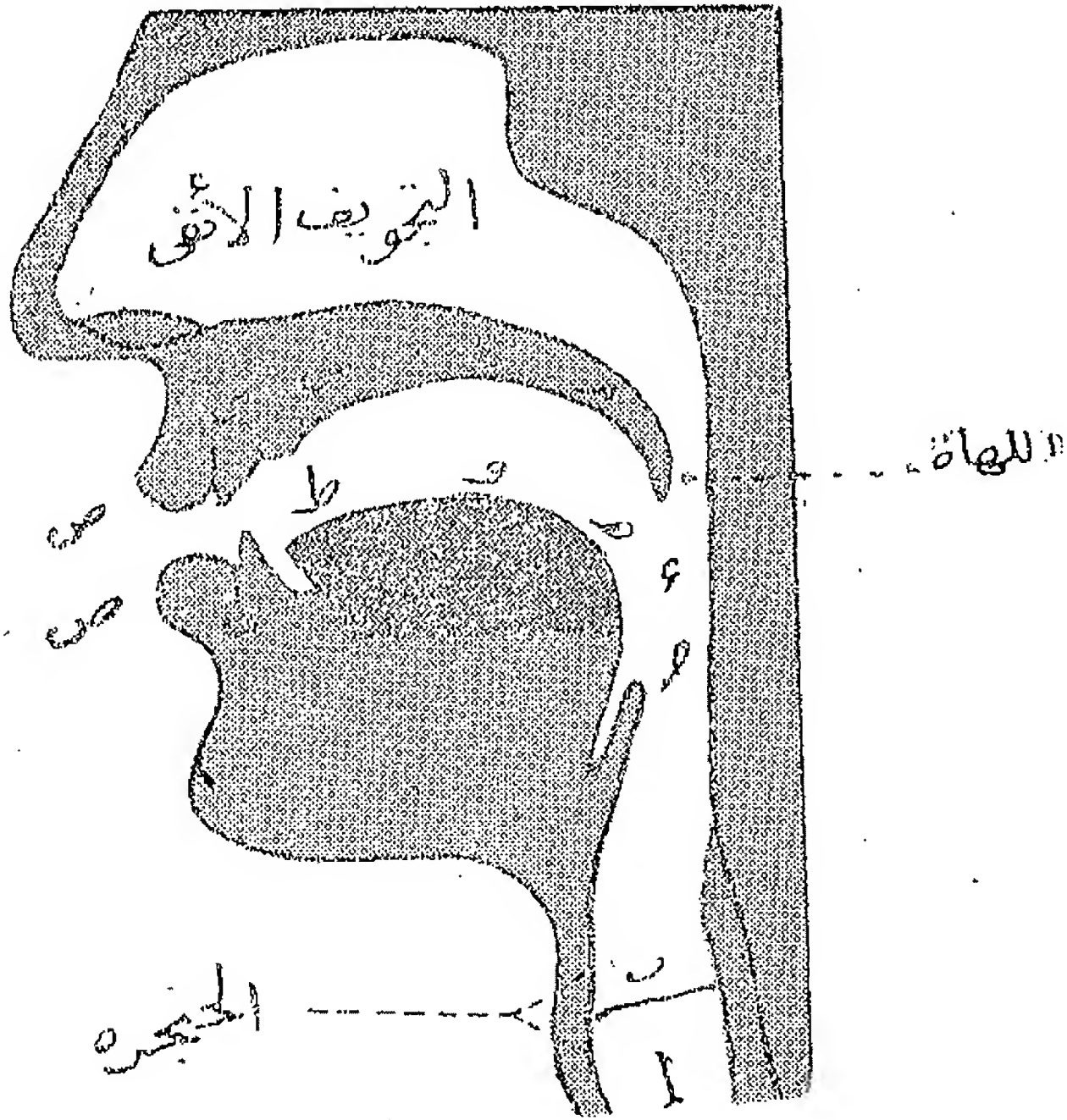
فحين تحدث الأصوات تموجات في الهواء الخارجى ، يستقبلها المصوان ثم تمر في القناة السمعية الخارجية الى أن تصل الى الغشاء الطبلى ، فيهتز اهتزازات مناسبة لتلك التموجات ، وتصل هذه الاهتزازات الى الأذن الداخلية بواسطة العظيمات الثلاث ، ثم تسرى هذه الاهتزازات فى السائل التيهي ، وتحدث به تموجات مناسبة لها ، فتنبه أطراف الأعصاب المغموسة فيه ، وتنقل هذه الأعصاب ما تشعر به أطرافها الى المراكز السمعية فى المخ ، وعند ذلك ندرك الأصوات المختلفة وتعرف اتجاهاتها .

## الفصل الثاني

(١)

### أعضاء النطق

قبل أن نعرض لدراسة الأصوات اللغوية وما تتركب منه ، لابد من شرح أعضاء النطق وأجزائها المتباينة . وإن نظرة واحدة إلى الشكل الآتي لتوضح تلك الأعضاء .



( شكل ٢ )

- (١) القصبة الهوائية (ب) موضع الوترين الصوتيين (ح) فتحة المزمار  
(د) الحلق (هـ و ط) اللسان : أقصاه ووسطه وطرفه  
(م ع س) الحنك الأعلى : أقصاه ووسطه وأصول الثنايا (ي) الأسنان :  
عليا وسفلي (ص) الشفتان : عليا وسفلي



١ - القصبة الهوائية :

وفىها يتخذ النفس مجراه قبل اندفاعه إلى الخنجرة . وقد كان يظن قديماً أن لا أثر لها فى الصوت اللغوى ، بل هى مجرد طريق للتنفس ؛ ولكن البحوث الحديثة برهنت على أنها تستغل فى بعض الأحيان كفراغ رنان ذى أثر بين فى درجة الصوت ، ولا سيما إذا كان الصوت عميقاً .

٢ - الخنجرة :

لقد عدَّ القدماء والمحدثون هذا العضو الأداة الأساسية للصوت الإنسانى ، لأنها تشتمل على الوترين الصوتيين اللذين يهتزان مع معظم الأصوات هزات منتظمة أمكن عدّها فى الثانية ، وترتب على معرفة عدد تلك الهزات الحكم على درجة الصوت .

والخنجرة عبارة عن حجرة متسعة نوعاً ما ومكونة من ثلاثة غضاريف ، الأول أو العلوى منها ناقص الاستدارة من خلف وعن يمين يارز من الأمام ، ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم . أما الغضروف الثانى فهو كامل الاستدارة ، والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثانى من خلف .

والوتران الصوتيان هما رباطان مرنان يشبهان الشفتين ، يمتدان أفقياً من الخلف إلى الأمام ، حيث يلتقيان عند ذلك البروز الذى نسميه بتفاحة آدم . أما الفراغ الذى بين الوترين فيسمى بالمزمار . وفتحة المزمار تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات ، ويترتب على هذا



اختلاف نسبة شد الوترين واستعدادهما للاهتزاز ، فكلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية ، فتختلف تبعاً لهذا درجة الصوت . وللمزمار غطاء نسميه لسان المزمار ، وظيفته الأصلية أن يكون بمثابة صمام يحمي طريق التنفس في أثناء عملية البلع .

### ٣ - الحلق :

هو الجزء الذى بين الحنجرة والفم . وهو فضلاً عن أنه مخرج لأصوات لغوية خاصة ، يستغل بصفة عامة كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة .

### ٤ - اللسان :

تعود القدماء أن ينسبوا النطق إلى هذا العضو بصفة خاصة . ولا غرابة في هذا ، فاللسان عضوهام في عملية النطق ، لأنه مرن وكثير الحركة في الفم عند النطق ؛ فهو ينتقل من وضع إلى آخر فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة . وقد قسمه علماء الأصوات إلى ثلاثة أقسام : الأول منها أول اللسان بما في ذلك طرفه ، والثانى وسطه ، والثالث أقصاه .

### ٥ - الحنك الأعلى :

هو العضو الذى يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة . ومع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك الأعلى تتكون مخارج كثير من الأصوات . وينقسم الحنك الأعلى إلى أقسام عدة هى :

الأسنان ، ثم أصولها ، ثم وسط الحنك أو الجزء الصلب منه ، ثم أقصى الحنك أو الجزء اللين منه ، ثم اللهاة .

#### ٦ - الفراغ الأنفي :

وهو العضو الذى يندفع خلاله النفس مع بعض الأصوات كالميم والنون . هذا إلى أنه يستغل كـفراغ رنان يضخم بعض الأصوات حين النطق .

تلك هى أعضاء النطق التى يشار إليها دائماً فى دراسة الأصوات وعملية النطق . على أنه من الواجب أن يضاف إليها عضو آخر لا يقل أهمية إن لم يكن أكثر منها أهمية وهو الرئتان . فبغير الرئتين لا تكون عملية التنفس وبغير التنفس لا يكون الكلام بل لا تكون الحياة نفسها . فبعض الأعضاء التى سبقت الإشارة إليها قد يصيبه اضطراب أو خلل ، ومع هذا فتظل عملية النطق تودى فى صورة من الصور ؛ ولكن الرئتين لا يمكن الاستغناء عنها فى النطق .

وعملية التنفس عادة تتكون من شهيق وزفير ، أى ادخال الهواء وإخراجه . والمرء حين يكون صحيحاً معافى لا يشعر بهذه العملية ، كما أنه لا يسمع لها صوتاً ؛ لأن مجرى الهواء معها يكون خالياً من أية عقبة تعترضه . فإذا كان المرء مصاباً بـزكام أو برد فقد يسمع خشخشة لتنفسه . وكذلك قد يحدث للنائم أن أقصى حنكه يصيبه نوع من التراخي ، يترتب عليه ذلك الصوت الذى نسميه شخيراً . وهذا النوع من الأصوات ليس من موضوع بحثنا فى قليل أو كثير . ولكننا نبغى البحث فى الأصوات

المقصودة التي لنا إرادة في صدورها ، وهي التي تتكون من تغيير وضع أحد تلك الأعضاء الأنفة الذكر في أثناء مرور النفس إلى خارج الفم .

(٢)

### جهر الصوت وهمسه

إن انقباض فتحة المزمار وانبساطها عملية يقوم بها المرء في أثناء حديثه ، دون أن يشعر بها في معظم الأحيان . وحين تنقبض فتحة المزمار يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر فتضيق فتحة المزمار ، ولسكنها تظل تسمح بمرور النفس خلالها . فإذا اندفع الهواء خلال الوترين وهما في هذا الوضع يهتزان اهتزازاً منتظماً ، ويحدثان صوتاً موسيقياً يختلف درجته حسب عدد هذه الهزات أو الذبذبات في الثانية ، كما تختلف شدته أو علوه حسب سعة الاهتزازة الواحدة . وعلماء الأصوات اللغوية يسمون هذه العملية بجهر الصوت . والأصوات اللغوية التي تصدر بهذه الطريقة أى بطريقة ذبذبة الوترين الصوتيين في الحنجرة تسمى أصواتاً مجهورة . فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان .

ولاختبار جهر الصوت يمكن أن تجرى إحدى التجارب الآتية :

١ - حين نضع الأصبع فوق تفاحة آدم ثم ننطق بصوت من الأصوات وهو ساكن مثل « ب » نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعوراً لا يَحتمل الشك .

ب - وكذلك حين نضع أصابعنا في آذاننا ثم ننطق بنفس الصوت

وهو ساكن نحس برنة الصوت في رؤوسنا .  
 ح - والتجربة الثالثة هي أن يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء  
 نطقه بالصوت موضع الاختبار فيحس برنين الصوت ، وذلك الرنين  
 هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين .

وعكس الجهر في الاصطلاح الصوتي هو الهمس . فالصوت  
 المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين  
 حين النطق به . وليس معنى هذا أن ليس للنفس معه ذبذبات مطلقاً  
 وإلا لم تدركه الأذن ، ولكن المراد بهمس الصوت هو سكون  
 الوترين الصوتيين معه ؛ رغم أن الهواء في أثناء اندفاعه من الحلق أو الفم  
 يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارجي إلى حاسة السمع فيدركها المرء  
 من أجل هذا .

والأصوات الساكنة (\*) (المجهورة في اللغة العربية كما تبهن عليها  
 التجارب الحديثة هي ثلاثة عشر : ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ  
 ل م ن . « يضاف إليها كل أصوات اللين » بما فيها الواو والياء »  
 في حين أن الأصوات المهموسة هي اثنا عشر : ت ث ح خ  
 س ش ص ط ف ق ك ه .

وقد يخيل للمرء حين ينظر إلى عدد كل من المجهورات والمهموسات  
 أن نسبتهم متعادلة في الكلام ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، لأن العدد  
 لا يعطينا بقدر ما يعطينا نسبة شيوع كل منها في الكلام . فالكثرة الغالبة

(\*) انظر صفحة ٢٧ في معنى الأصوات الساكنة وأصوات اللين .

من الأصوات اللغوية مجهورة . ومن الطبيعي أن تكون كذلك وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص الذي يميز به الكلام من الصمت والجهر من الهمس والأسرار . فالحنجرة هي أداة الصوت الأساسية وما يتكون في غيرها من أصوات إنسانية لا يكون كلاماً مسموعاً واضحاً ذا درجات موسيقية منسجمة يمكن ضبطها وقياسها .

وقد برهن الاستقراء على أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس أو عشرين في المائة منه . في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة .

ولم يقف النطق الانساني عند مرحلة الصياح بأصوات مجهورة أو مهموسة ذات درجات صوتية متباينة ، طوراً تعلو وطوراً تنخفض بل تطورت إلى كلمات مستقلة تكونت منها لغات ذات قواعد وأصول ، وبذلك امتاز نطقه عن غناء الطيور وأصوات الحيوانات . وقد رمزت تلك الكلمات وهي مركبة في صورة جمل إلى خير ما يدور في ذهن الإنسان من أفكار . فعبرت عن سريرة نفسه واستغلت كأداة للتفاهم بين أبناء جنسه ، يضمونها مكنون أفكاره خيراً وشرها أيضاً .

ولبعض الأصوات المجهورة في اللغة العربية نظائر مهموسة مثل :  
د ذ ز ض ع غ التي نظائرها المهموسة على الترتيب الآتي هي :  
ت ث س ط ح خ . ومن الأصوات ما هو مجهور ولا مهموس (\*)

---

(\*) قد توجد تلك النظائر المجهورة أو المهموسة في اللهجات العربية الحديثة كما سنبين فيما بعد .

له في العربية الفصيحة مثل ب ج ر ظ ل م ن . ومنها ما هو مهموس ولا مجهور له : مثل ش ص ف ق ك ه . واختلاف الأوضاع التي تتخذها أعضاء النطق بولد أنواعاً لا حصر لها من الأصوات اللغوية بعضها شديد والآخر رخو .

(٣)

### شدة الصوت ورخاوته

حين تلتقي الشفتان التقاء محكما فينحبس عندهما مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن بعدها تنفصل الشفتان انفصالا فجائياً ، يحدث النفس المنحبس صوتاً انفجارياً ، هو ما نرسم إليه في الكتابة بحرف الباء . فهذا النوع من الأصوات الانفجارية هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الشديد وما يسميه المحدثون انفجارياً « Plosive » .

وليس ضرورياً أن يكون انحباس النفس بالتقاء الشفتين ، بل قد ينحبس النفس في مخارج عدة ، كأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا التقاء محكما فلا يسمح بمرور الهواء لحظة من الزمن ، بعدها ينفصل العضوان فيندفع الهواء المحبوس فجأة ويحدث صوتاً انفجارياً هو الذي نرسم إليه بالبدال أو التاء . وكذلك قد ينحبس الهواء بالتقاء أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى ثم انفصالان فجأة فيحدث الهواء المندفع صوتاً انفجارياً نرسم إليه بالكاف أو الجيم القاهرية .

فكل من هذه الأصوات « الباء الدال التاء الكاف والجيم القاهرية » صوت شديد . والصفة التي تجمع بينها هي انحباس الهواء معها عند مخرج كل منها انحباساً لا يسمح بمروره حتى ينفصل العضوان فجأة ويحدث النفس صوتاً انفجارياً .

والأصوات العربية الشديدة كما تؤيدها التجارب الحديثة هي :  
ب ت د ط ض ك ق « والجيم القاهرية » . أما الجيم العربية الفصيحة فيختلط صوتها الانفجاري بنوع من الخفيف يقلل من شدتها .

أما الأصوات الرخوة فعند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباساً محكماً ، وإنما يكتفى بأن يكون مجراه ضيقاً . ويترتب على ضيق المجرى أن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعاً من الصفير أو الخفيف تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى . فمثلاً حين يتصل أول اللسان بأصول الثنايا بحيث يكون بينهما فراغ كاف لمرور الهواء نسمع ذلك الصفير الذي نعبّر عنه بالسين أو الزاي . وكل صوت يصدر بهذه الوسيلة اصطلاح القدماء على تسميته بالصوت الرخو . وهذه الأصوات يسميها المحدثون بالأصوات الاحتكاكية «Fricatives» . وعلى قدر نسبة الصفير في الصوت تكون رخاوته . وعلى هذا فأكثر الأصوات رخاوة تلك التي سماها القدماء بأصوات الصفير وهي السين والزاي والصاد . وإذا اتسع الفراغ بين العضوين الملتقيين قلت نسبة الصفير ، وحينئذ يمكن تسميته خفيفاً بدلاً من صفير . فعند النطق بالفاء مثلاً

تاتقى الشفة العليا بالاسنان السفلى تاركة بينهما فراغا كافيا لمرور الهواء ،  
ويحدث الهواء حينئذ نوعا من الحفيف يجعلنا نسمى الفاء صوتا  
رخوا أيضا .

على أنه قد يتسع الفراغ مع بعض الاصوات اتساعاً كبيراً يسمح  
بمرور الهواء دون أن يحدث أى نوع من الصغير أو الحفيف . ويلاحظ  
هذا مع اللام والنون والميم والراء . ولعل هذا هو الذى دعا القدماء  
إلى تسمية هذه الاصوات الأربعة بالاصوات المتوسطة ، أى التى ليست  
انفجارية ولا احتكاكية .

والمحدثون من علماء الأصوات قد برهنوا بتجاربهم على أن هذه  
الأصوات الأربعة تكون مجموعة خاصة لاهى بالشديدة ولا الرخوة  
وسموها Liquids أى الأصوات المائعة . أما تسميتها بالأصوات  
المتوسطة فليست تعنى أكثر من أنها تخالف النوعين السابقين ، أى أنها  
ليست بالشديدة ولا الرخوة . وقد زاد القدماء على هذه الأصوات  
الأربعة صوت « العين » فعدوها صوتاً متوسطاً أيضاً . ولقلة التجارب  
الحديثة التى أجريت على أصوات الخلق لا نستطيع أن نرجح صحة هذه  
الصفة « للعين » بل نتركها لتجارب المستقبل لتبرهن عليها .

والأصوات الرخوة فى اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب  
الحديثة هى « مرتبة حسب نسبة رخاوتها » : \* س ز ص ش ذ  
ث ظ ف ه ح خ غ .

---

(\*) للياء والواو حكم خاص سنعرض له فيما بعد .



(٤)

## الأصوات الساكنة وأصوات اللين

لقد كان من نتائج تحليل المحدثين للأصوات اللغوية أن قسموها إلى قسمين رئيسيين سموا الأول منها Consonants والثاني Vowels ويمكن تسمية القسم الأول بالأصوات الساكنة والثاني بأصوات اللين .

وأساس هذا التقسيم عندهم هو الطبيعة الصوتية لكل من القسمين . فالصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين « Vowels » هي أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة ، ثم يتخذ مجراه في الحلق والقم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة ، أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور كما يحدث مع الأصوات الشديدة . فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والقم وخلو مجراه من حوائل وموانع .

في حين أن الأصوات الساكنة إما ينحبس معها الهواء انحباساً محكماً فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزمن يتبعها ذلك الصوت الانفجاري ، أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعاً من الصغير أو الحفيف . وترتب على اختلاف كيفية مرور الهواء في حالي النطق بالأصوات الساكنة وأصوات اللين أن المحدثين لاحظوا أن الأصوات الساكنة على العموم أقل وضوحاً في السمع من أصوات اللين . فأصوات اللين تسمع من مسافة عندها قد تخفى الأصوات الساكنة أو يخطأ في تمييزها .

فالفتحة مثلاً « وهى صوت لين قصير » تسمع بوضوح من مسافة أبعد كثيراً مما تسمع عندها الفاء . ولهذا عدّ الأساس الذى بنى عليه التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين أساساً صوتياً ، وهو نسبة وضوح الصوت فى السمع . ففى الحديث بين شخصين بعدت بينهما المسافة قد يخطئ أحدهما سماع صوت ساكن ، ولكنه يندر أن يخطئ سماع صوت لين . وكذلك الحال فى الحديث بالتليفون .

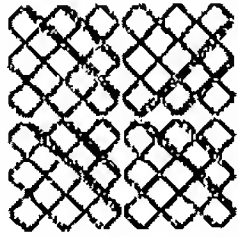
ولست كل أصوات اللين ذات نسبة واحدة فى الوضوح السمعى ؛ بل منها الأوضح . فأصوات اللين المتسعة أوضح من الضيقة ، أى أن الفتحة أوضح من الضمة والكسرة . كما أن الأصوات الساكنة ليست جميعها ذات نسبة واحدة فيه ؛ بل منها الأوضح أيضاً . فالأصوات المجهورة أوضح من الأصوات المهموسة .

والوضوح السمعى الذى بنيت عليه التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين ، هو تلك الصفة الطبيعية فى الصوت لا المكتسبة من طول أو نبرة (\*) . فصوت اللين أوضح بطبعه من الصوت الساكن . ومن النتائج التى حققها المحدثون أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً ، وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين . ولذا يميل بعضهم إلى تسميتها « أشباه أصوات اللين » . ومن الممكن أن تعدّ حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين . ففيها من صفات الأولى أن مجرى النفس معها تعترضه حوائل ، وفيها أيضاً من صفات

---

(\*) انظر الفصل الخامس فى معنى طول الصوت ومعنى النبر .

أصوات اللين أنها لا يكاد يسمع لها أى نوع من الخفيف .  
وأصوات اللين فى اللغة العربية هى ما اصطلاح القدماء على تسميته  
بالحركات من فتحة وكسرة وضممة ، وكذلك ما سموه بالالف اللينة والياء  
اللينة والواو اللينة ، وما عدا هذا فأصوات ساكنة .



## الفصل الثالث

(١)

### مقاييس أصوات اللين

عنى المحدثون من علماء الأصوات اللغوية بالبحث فى أصوات اللين وضبطها ، بصرف النظر عما تنتمى إليه من لغة خاصة . لأنهم لاحظوا أنها تختلف من لغة إلى أخرى اختلافاً يجعل محاولة النطق بلغة أجنبية عسيراً يحتاج إلى مران كبير . فنسبة الخلاف بين أصوات اللين فى اللغة الإنجليزية والفرنسية كبيرة ، تجعل نطق الإنجليزى باللغة الفرنسية شاقاً مشوباً بلهجة غريبة ثقيلة على آذان الفرنسيين ، وكذلك العكس بالعكس .

وأصوات اللين فى كل لغة كثيرة الدوران والشيوع ، وأى انحراف عن أصول النطق بها يبعد بنطق المتكلم عن الطريقة المألوفة بين أهل هذه اللغة . فأقل انحراف فى نطقنا لأصوات اللين فى اللغة الإنجليزية يجعل نطقنا كمصريين لهذه اللغة غريباً لا تستسيغه الأذن الإنجليزية .

لذلك كان من أوجب الأمور التى يلجأ إليها متعلم هذه اللغة بيننا أن يحاول تقليد النطق بهذه الأصوات كما ينطق بها أبناءها ،

ومن أعقد الصعوبات التى يصطدم بها المصرى فى تعلم اللغة الإنجليزية أصوات اللين الإنجليزية وكيفية النطق بها صحيحة كما ينطق بها الإنجليز أنفسهم . فالأجنبي حين ينطق بلغة غير لغته يتعثر فى نطق أصوات

اللين ، ولا يحسن النطق بها إلا بعد مران طويل وجهد كبير لأسباب منها :

( ١ ) أن الفروق بين أصوات اللين في اللغات بصفة عامة ، كبيرة . ولا تكاد تشترك لغة من اللغات مع أخرى في كيفية النطق بأصوات اللين . بل ان لهجات اللغة الواحدة لتختلف فيها اختلافاً يميز كل لهجة من هذه اللهجات . فليست أصوات اللين في لهجات اللغة الإنجليزى ذات طريقة واحدة في نطقها . وكذلك الحال في الفرنسية والعربية وهكذا .

( ٢ ) وضوح أصوات اللين في السمع إذا قيست بالأصوات الساكنة ، يجعل أى انحراف في نطق الأولى أبين في السمع ، نائياً في الأذن ، يبعد بالمتكلم عن النطق الصحيح .

( ٣ ) نسبة ورود أصوات اللين وشيوعها في كل كلام ، كبيرة جداً ، تبرز خطأها وتجسمه .

نعم أن هنالك فروقاً بين الأصوات الساكنة في معظم اللغات ، ولكنها ليست من الوضوح أو الشيوع بحيث تقف حجرة عثرة في نطق الأجنبي عن اللغة ، كما يحدث عند النطق بأصوات اللين . هذا إلى أن الأصوات الساكنة سهل ضبطها متى تحدد مخرجها . وفي معظم الأحيان تشترك اللغات في كثير منها ، فمعظم الأصوات الساكنة في اللغة الفرنسية تماثل إلى حد كبير نظائرها في اللغة العربية .

لهذا لم يعن المحدثون بوضع أقيسة عامة للأصوات الساكنة في اللغات البشرية ، كما عنوا بها في بحث أصوات اللين . فقد اكتفوا بوصف مخرج الصوت الساكن وكيفية النطق به في اللغة التي يراد تعلمها . وفي

معظم الأحيان كان هذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على وصف نفس الصوت في لغة المتعلم .

فهناك فرق دقيق بين نطق « التاء » في كل من اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، إذ مخرجها في اللغة الأولى من طرف اللسان حين يلتقي بأصول الثنايا العليا ، في حين أن مخرجها في الفرنسية هو طرف اللسان حين يلتقي بالأسنان العليا نفسها . ولكن هذا الفرق الدقيق بين « التاء » في كل من اللغتين لم يكن عقبة كبيرة في نطق الفرنسي للإنجليزية ، أو العكس . بل برهنت التجارب على أنه يسهل التغلب عليه مع قليل من المران . وهكذا أمكن أن يقال إن الفروق بين الأصوات الساكنة في اللغات ليست من الأهمية بحيث تضطرنا إلى وضع مقاييس مضبوطة لها في كل لغة ، بل يكفي لدراستها في كل لغة وصف مخرجها وصفاً دقيقاً .

لهذا كله اضطر المحذثون في تجاربهم أن يستنبطوا مقاييس عامة لأصوات اللين ، بها تقاس أصوات اللين في كل لغة وتنسب إليها . ولم يتخذوا في هذه المقاييس لغة خاصة يجعلونها أساساً ، بل اتخذوا تلك المقاييس من عدة لغات مشهورة ، بحيث يندرج تحتها أى صوت لين في أية لغة من اللغات . ومتى أمكن المتعلم إتقان النطق بهذه المقاييس العامة سهل عليه أن ينسب إليها أصوات اللين في اللغة التي يريد تعلمها .

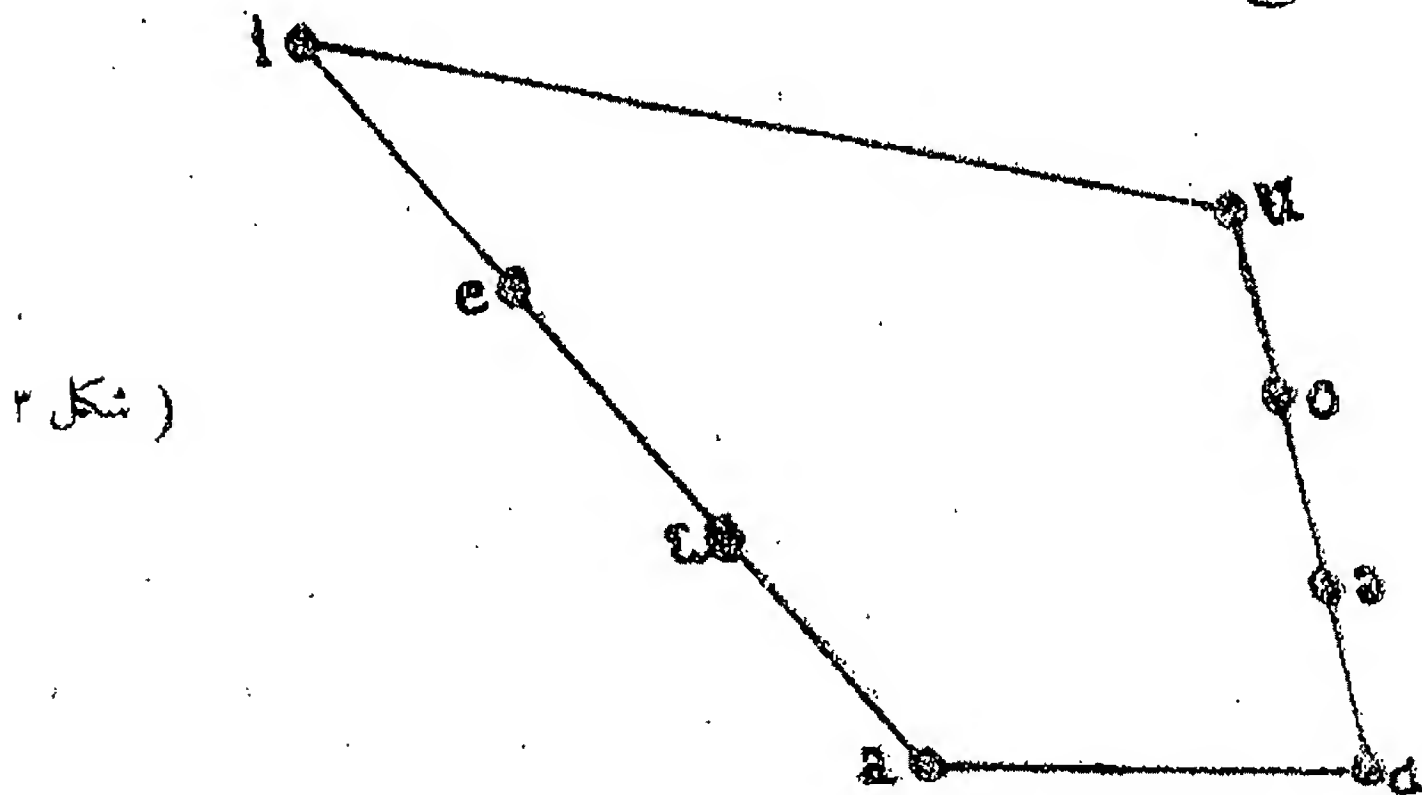
وأول من عنى بهذه المقاييس بروفسر « دانيال جونز » في جامعة لندن ، إذ استطاع بعد تجارب دقيقة وبحوث متواصلة أن يخرج لنا تلك المقاييس العامة لأصوات اللين ، وسجلها فوق اسطوانات هي الآن

في متناول كل من ينبغي تعلمها .

وقد بدأ عمله بأن حدد الموضع الذي يمكن أن يصعد إليه اللسان نحو وسط الحنك الأعلى ، بحيث يكون الفراغ بينهما كافياً لمرور الهواء ، دون أن يحدث في مروره أى نوع من الحفيف . فأقصى ما يصل إليه اللسان متجماً نحو الحنك الأعلى ، بحيث لا يحدث الهواء المار بينهما أى نوع من الحفيف ، يعد موضعاً مضبوطاً بين أصوات اللين . وقد رمز له بالرمز (i) أو ما يشبه الكسرة الرقيقة في اللغة العربية . وقد عد المحدثون هذا الصوت أول مقياس لأصوات اللين ، لتحديد موضعه . إذ لو صعد اللسان نحو الحنك أكثر من هذا ، سمع الحفيف الذي يخرج به صوت اللين إلى محيط الصوت الساكن الذي نسميه « الياء » ، فالفرق بين « الياء » وصوت اللين (i) ، هو أن موضع اللسان مع الأولى أقرب إلى الحنك الأعلى ، والفراغ الذي بين اللسان والحنك معها أضيق منه في حالة صوت اللين (i) . ويترتب على هذا أننا نسمع بعض الحفيف مع « الياء » .

وتكوّن المقياس الثاني بأن هبط اللسان إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم ، بحيث يستوى في قاع الفم ، مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك . فتحدد لنا بهذا مقياس آخر ، يرمز إليه عادة بالرمز (a) وهو ما يشبه الفتحة المفخمة في اللغة العربية . وبين أقصى ما يصل إليه اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى وأقصى ما يصل إليه في هبوطه بقاع الفم ، استنبط المحدثون ثلاث مراحل عند كل منها يتكون صوت

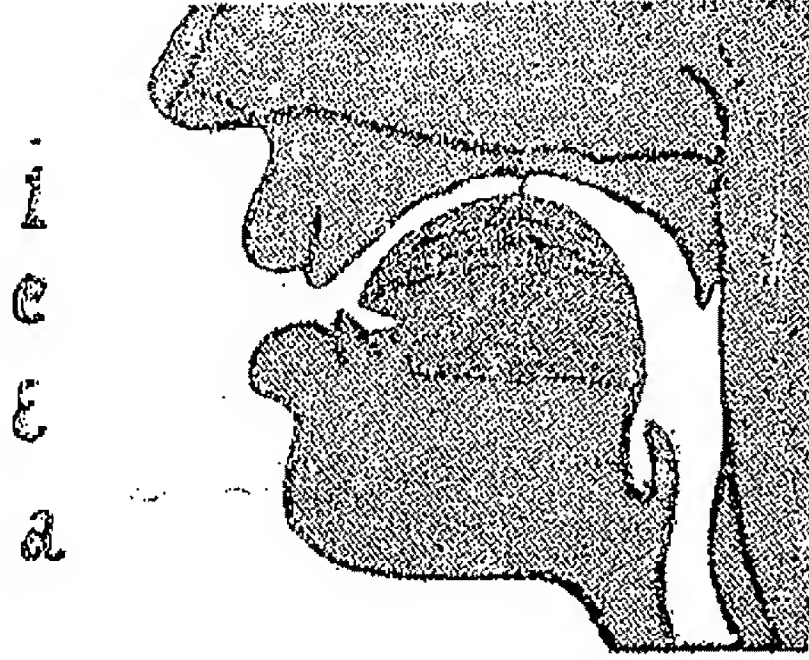
اللين خاص . فاللسان في هبوطه من موضع (i) إلى موضع (a) يمر بمواضع ثلاثة ، رمز لها بالتدريج : (a ε e) « إقرأ من اليمين » . وقد اتخذ علماء الأصوات المحدثون ثلاث مراحل أخرى تلي الصوت a ، ناظرين في هذه المرة إلى نسبة صعود أقصى اللسان نحو الحنك . فآخر ما يصل إليه أقصى اللسان في صعوده نحو أقصى الحنك ، ليكون الفراغ بينهما من السعة ، بحيث لا يحدث الهواء أى نوع من الحفيف ، هو المقياس الأخير لأصوات اللين ، وهو ما يرمز إليه بالرمز (u) ، وهو الذى يشبه الضمة المرققة في اللغة العربية . فإذا زاد صعود أقصى اللسان نحو أقصى الحنك ، أحدثت الهواء فى أثناء مروره نوعاً من الحفيف ، وأنتج ذلك الصوت الذى نسميه بالواو . فالفرق بين الواو وصوت اللين (u) ، هو أن الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك مع الأولى ضيق ، إذا مر خلاله الهواء أحدث نوعاً من الحفيف . ويرمز عادة للمرحلتين اللتين بين a و u بالرمزين الآتين على الترتيب : o θ . وبهذا يتكون لنا ثمانية مقاييس تبدأ بصوت اللين (i) وتنتهى بصوت اللين (u) . وتوضع عادة مدرجة فى شكل كالآتى :



( شكل ٢ )

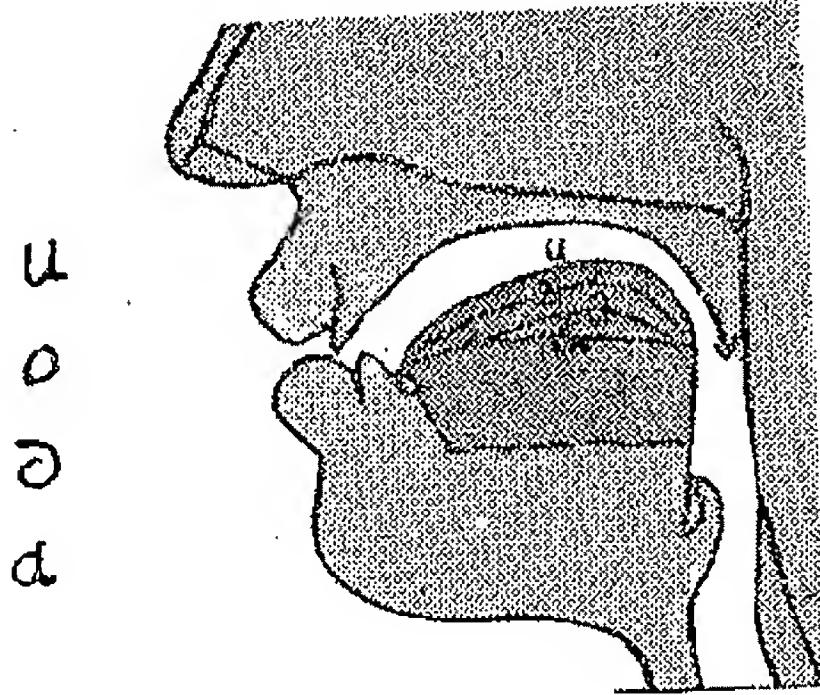


ويتضح موضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى في الأصوات  
الأربعة الأولى ( i e ε a ) بملاحظة الشكل الآتي :



( شكل ٤ )

كما يتضح موضعه في الأصوات الأربعة التي تليها ( u o ə a )  
بملاحظة الشكل :



( شكل ٥ )

ولقد تحددت الآن الدرجة الصوتية لكل من هذه المقاييس الثمانية ؛  
فعرفت بالتجربة أعداد الذبذبات في الوترين الصوتيين مع كل منها ،  
عمازادها تحديداً ودقة .

وقد قيست أصوات اللين في كل اللغات بهذه المقاييس الثمانية ،

وانتخب المحدثون عدة كلمات من لغات مشابهة ، اشتملت كل كلمة منها على أحد هذه المقاييس .

si	فالصوت الأول	i	مثل تمثيلا حسنا في الكلمة الفرنسية
thé	والصوت الثاني	e	» » » » » »
même	والصوت الثالث	ε	» » » » » »
la	والصوت الرابع	a	» » » » » »
Pas	والصوت الخامس	α	» » » » » »
sonne	والصوت السادس	ə	الألمانية » » » » » »
rose	والصوت السابع	o	الفرنسية » » » » » »
gut	والصوت الثامن	u	الألمانية » » » » » »

هذا إلى أن كثيرا من شركات التسجيل الفونوغرافى ، قد سجلت مقاييس أصوات اللين فوق اسطوانات ، يرجع إليها طالب اللغات ، فيسمعها ويحاول تقليدها حتى يتقنها ، ويتأكد من موضع اللسان مع كل منها . فاذا قاس عليها صوت لين فى لغة من اللغات لم يحتاج إلى جهد كبير فى التعرف على الصوت . وأشهر هذه الاسطوانات رقم ٨٠٤ B. فى اكسفورد ولندن .

ورغم أن الأساس فى تكون هذه المقاييس ، هو موضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى ، أو موضع أقصى اللسان بالنسبة لأقصى الحنك ، رغم أن هذا هو الأساس ، قد لاحظ المحدثون أن شكل الشفتين يختلف مع كل منها . وتأثر الشفتين مع كل من هذه المقاييس ، أمر لا يصح إغفاله

في وصفها . فالشفتان مع الأصوات ( a ε e i ) منفرجتان ، وليس فيهما استدارة أو بروز . أما في حالة الأصوات ( u o ə α ) فتبدأ الشفتان في الاستدارة حتى تصلا إلى أقصى ما تصل إليه من كمال في الاستدارة مع الصوت u .

أما ما يمكن أن يتفرع عن هذه المقاييس الثمانية من أصوات اللين في اللغات ، فأمر يحتاج إلى مؤلف خاص ، ولا نحب أن نعرض له هنا ؛ بل سنحاول فقط أن ننسب إليها أصوات اللين في اللغة العربية كما ينطق بها المجيدون من القراء في عصرنا هذا . لأن ما يمكن أن ينطق به الإنسان من أصوات اللين ، يجاوز الخمسين صوتاً ؛ وإن كان الموجود فعلاً في اللغات المتباينة ، أقل من هذا العدد كثيراً .

ورغم أن جميع أصوات اللين تشترك في صفات خاصة ، أهمها أنها كلها مجهورة ، وأن مجرى الهواء معها لا تعترضه حوائل في مروره ؛ بل يندفع في الحلق والقصبة حراً طليقاً ، رغم اشتراكها في مثل هذا ، قد قسمها العلماء إلى مجاميع متجانسة . فحين نظروا إلى نسبة صعود اللسان نحو الحنك ، أمكنهم أن يقسموا أصوات اللين إلى مجموعتين : المجموعة الأولى تشمل أصوات اللين الضيقة close ، وأفراد هذه المجموعة هي i u وما قرب منهما . لأن اللسان مع كل منهما يبلغ أقصى ما يمكن أن يصل إليه من صعود نحو الحنك . والفراغ بينهما يكون أضيق ما يمكن للنطق بصوت لين .

والمجموعة الثانية هي أصوات اللين المتسعة Open وأفرادها ( α ) وما قرب منها . لأن اللسان معها يبلغ أقصى ما يمكن أن يصل إليه من

هبوط في قاع الفم . والفراغ بينهما يكون أوسع ما يمكن في هذا الموضع ولهذا التقسيم أهمية خاصة في تطور الأصوات سنلاحظها فيما بعد . أما إذا نظر إلى جزء اللسان الذي يصعد أو يهبط ، فيمكن تقسيم أصوات اللين إلى مجموعتين رئيسيتين :

( ١ ) أصوات لين أمامية : وأفرادها  $a$  و  $h$  وما بينهما . لأنه في تكون هذه الأصوات ، نلاحظ أن أول اللسان هو الذي يصعد نحو الحنك الأعلى ، أو يهبط نحو قاع الفم .

( ٢ ) أصوات لين خلفية : وأفرادها  $u$  و  $a$  وما بينهما ، لأن أقصى اللسان هو الذي يصعد ويهبط حين النطق بها .

( ٢ )

## أصوات اللين في اللغة العربية

أصوات اللين مع أنها عنصر رئيسي في اللغات ، ومع أنها أكثر شيوعاً فيها ، لم يعن بها المتقدمون من علماء العربية . فقد كانت الإشارة إليها دائماً سطحية ، لا على أنها من بنية الكلمات ، بل كعرض يعرض لها ، ولا يكون منها إلا شطراً فرعياً . ولعل الذي دعا إلى هذا الانحراف أن الكتابة العربية منذ القدم ، عنيت فقط بالأصوات الساكنة فرمزت لها برموز . ثم جاء عهد عليها أحسن الكتاب فيه بأهمية أصوات اللين الطويلة ، كالواو والياء الممدودتين ، فسكتبوهما في بعض النقوش والنصوص القديمة . وظلت الحال هكذا ، حتى وضعت أصوات اللين القصيرة التي

اصطلاح القدماء على تسميتها بالحركات في العصور الإسلامية . فالكتابة التي ليست إلا وسيلة ناقصة للتعبير عن الأصوات اللغوية ، صرفت القدماء عن أهمية أصوات اللين ، فلم يرمز لها برمز في صلب الكلمات . وقد أشار ابن جنى في كتابه « سر صناعة الإعراب »<sup>(١)</sup> إلى هذه الأصوات في قوله « اعلم أن الحركات أبعاض لحروف المد واللين وهي الألف والواو والياء . فسكنا أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة . وقد كان متقدمو النحاة رحمهم الله تعالى يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة . وقد كانوا في ذلك على طريقة مستقيمة . ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توام كوامل ، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض ، وذلك إذا وقعت بعدهن الهمزة والحرف المدغم نحو « يشاء » « دابة » . وهن في كلا الموضعين يسمين حروفاً كوامل . فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفاً صغراً بأبعد في القياس منه . ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه . إلا أن هذه الحروف التي يتحدثن لإشباع الحركات لا يكن إلا سواكن لأنهن مدات والمدات لا يحركن أبداً »

هذا ما رواه ابن جنى ، ومنه نرى أن بعض القدماء قد أحس كما يحس المحدثون بأن الفرق بين الفتحة وما يسمى بالألف اللينة لا يعدو أن يكون

(١) مخطوط بدار الكتب الملكية .

فرقاً في الكمية . وكذلك الفرق بين الياء والواو اللينتين إذا قورنتا على الترتيب بالكسرة والضمة ، ليس إلا فرقاً في الكمية . فما يسمى بالآلف اللينة هي في الحقيقة فتحة طويلة وما يسمى بالياء اللينة ، ليست إلا كسرة طويلة . وكذلك الواو اللينة تعدّ من الناحية الصوتية ضمة طويلة ، فكيفية النطق بالفتحة ، وموضع اللسان معها يماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى الآلف اللينة ، مع ملاحظة فرق الكمية بينهما .

ونستنتج مما رواه ابن جني أن أصوات اللين التي اعترف بها القدماء ، هي في الحقيقة ثلاثة فقط ؛ بصرف النظر عن طول <sup>(١)</sup> الصوت وقصره ، فلا يغير هذا من حقيقته . وتلك الأصوات هي ما تسمى عادة بالفتحة والكسرة والضمة . فكلماً أشرنا هنا إلى أصوات اللين القصيرة في اللغة العربية ، لا نغني أكثر مما سماه القدماء بالفتحة والكسرة والضمة . أما طول الصوت فسنعرض له فيما بعد .

وحين نذكر اللغة العربية نشير إلى الحالة التي رويت لنا في القراءات القرآنية كما يتلوها مجيدو القراءات في مصر الآن . إذ ليس لدينا من وسيلة تؤكدها كيفية النطق بهذه الأصوات في العصور القديمة سوى عن طريق التلاوة المتواترة . لأن أصوات اللين في اللهجات العربية الحديثة ، قد أصابها تطور كبير . وهي تختلف في مصر عنها في الشام والعراق . وليس هنا مجال بحثها في هذه البيئات العربية . بل لعل أصوات اللين تختلف بعض الشيء ، حتى في القراءات القرآنية الشائعة في كل بيئة

---

(١) يفرق عادة بين صوت اللين الطويل والقصير في الكتابة الفوناتيكية

بأن يوضع أمام الطويل نقطتان هكذا : a:

من هذه البيئات العربية . فأصوات اللين في قراءة المصرى ، تختلف قليلاً عنها في قراءة الشامى والعراقى وهكذا .  
والنموذج الذى نبني عليه حكمنا على أصوات اللين فى اللغة العربية ، هو نطق المجيدين للقراءات القرآنية فى مصر ، غير ناظرين إلى أصوات اللين المختلفة فى لغة الكلام بمصر ؛ لأنها تختلف باختلاف اللهجات المصرية الحديثة .

فالفتحة والكسرة والضمة ، هى أصوات اللين العربية التى أشار إليها القدماء . غير أنهم فى ثنايا مؤلفاتهم قد ذكروا أنواعاً لكل منها ؛ فمن أنواع الفتحة التى ذكرها ابن جنى فى كتابه « سر صناعة الأعراب »  
( ١ ) تلك الفتحة المشوبة بالكسرة ، وهى التى قبل الأمانة . وكذلك ما يسمى بالآلف الممالة ، وهى التى نجد هابين الآلف والياء . فكلاهما نوع واحد من الفتحة ؛ مع ملاحظة فرق الكمية .

( ٢ ) الفتحة الممالة نحو الضمة ، وهى التى تكون قبل ألف التفخيم ؛ لأن ألف التفخيم تمال بين الآلف والواو . فهذا نوع ثانٍ من الفتحة . وكلا الفتحة الممالة نحو الضمة وألف التفخيم ، نوع واحد من الفتحة ، ولا فرق بينهما إلا فى الكمية .

ويشير ابن جنى فى نفس الموضع من الكتاب إلى نوع من الكسرة شاع بين اللهجات العربية القديمة ، وهى تلك الكسرة المشوبة بالضمة فى نطق مثل « قيل » ، « بيع » ، والتى تسمى بالآشمام .

هذا وروى لنا ابن جنى أيضاً نوعاً من الضمة مشوبة بالكسرة . ويظهر أن كل هذه الأنواع من الفتحة والكسرة والضمة كانت شائعة

في اللهجات العربية القديمة ، وإن لم ينسبها ابن جني لقبائلها من سوء الحظ .  
وقد أفاض القراء في وصف إمالة الفتحة نحو الكسرة ، وخصصوا  
لهذا فصولا طويلة ، كما وضعوا لها أحكاماً وشروطاً . وموضع كل هذا  
كتب القراءات . فالقراء إذن عنوا بنوع واحد من أنواع الفتحة  
وهو الأول ، لكثرة شيوعه في اللهجات العربية . بل لقد قسموا إمالة  
الفتحة إلى الكسرة إلى قسمين كلاهما جائز في القراءة ، جار على السنة  
العرب : وهما الإمالة الشديدة أي التي تصبح الفتحة فيها أقرب إلى  
الكسرة ، وإمالة خفيفة وهي نوع من الفتحة ممالة إلى الكسرة ، ولكنها  
في إمالتها تكون أقرب إلى أصلها وهو الفتح منها إلى الكسر .

وقد نسب القراء الفتح إلى لهجة الحجاز ، والأمالة إلى أهل نجد من  
تميم وقيس وأسد .

ومحاولة قياس أصوات اللين كلها ، كما رواها ابن جني ، بتلك المقاييس  
العامّة التي أشرنا إليها من قبل ، يتطلب بحثاً خاصاً في اللهجات العربية  
القديمة ، أحسب أن المستقبل كفيل به .

أما نسبة الكسرة كما نسمعها من قراء مصر حين يلتزمون قراءة  
حفص ، فهي تشبه كل الشبه ذلك الصوت الذي يرمز إليه بالرمز ( ا ) ؛  
غير أنه حين تتأثر بأصوات التفخيم ( الصاد . الضاد . الطاء . الظاء )  
وربما أيضاً ( الحاء . الغين . القاف ) نلاحظ ميل هذا الصوت قليلاً نحو  
ذلك المقياس الذي يرمز إليه بالرمز ( e ) . ويحدث هذا بصفة خاصة  
مع أصوات الاطباق ( الطاء . الضاد . الصاد ) . وهذا التغيير  
في صوت اللين غير مقصود لذاته ، بل يحتمل انتقال اللسان من وضعه



الأممى الضيق إلى ما تتطلبه أصوات الاطباق من صعوده نحو الحنك الأعلى متخذاً شكلاً مقعراً (١).

فإذا قيست الفتحة العربية بمقاييس أصوات اللين ، وجدناها قريبة الشبه بذلك المقياس الذى يرمز إليه بالرمز (a) ولكنها لا تنطبق عليه تمام الانطباق . ويتجه هذا الصوت قليلاً نحو المقياس الذى يرمز إليه بالرمز (a) حين تتأثر الفتحة بأصوات التفخيم .

أما الضمة العربية فهى تنطبق تمام الانطباق على المقياس الذى يرمز إليه بالرمز (u) غير متأثرة بالأصوات المستعالية .

أما أصوات اللين الممالة فنسكتفى هنا بقياس الفتحة الممالة نحو الكسرة ، وتلك هى اللغة الشائعة فى اللهجات العربية قديمها وحديثها ، والتي استحققت كل العناية من جمهور القراء .

فإذا كانت الأمالة شديدة ، أمكن أن تكون الفتحة قريبة الشبه بالمقياس (e) . أما فى الأمالة الخفيفة فيظهر أن الفتحة حينئذ تشبه إلى حد كبير المقياس e .

والفتحة بأنواعها تعد من أصوات اللين المتسعة ، إلا إذا كانت ممالة إمالة شديدة . أما الضمة والكسرة فهما من أصوات اللين الضيقة . ولهذا التقسيم أهميته فيما يعرض لهذه الأصوات من الظواهر اللغوية . إذ نلاحظ فى معظم الأحيان أن ما يجرى على الضمة يجرى على الكسرة .

---

(١) انظر صفحة ٥ . شكل ٧ يوضح موضع اللسان مع أصوات الاطباق .

لأن كلا منها صوت لين ضيق ، بخلاف الفتحة فهي قسم مستقل له  
ظواهره الخاصة .

## أنصاف أصوات اللين

هناك صوتان بين الأصوات اللغوية يستحقان دائماً أن يعالجا علاجاً  
خاصاً ، لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه مع أصوات اللين ؛  
ومع هذا فقد دلت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعاً ضعيفاً من  
الحفيف . وهذان الصوتان هما ما اصطلح عليهما العرب على تسميتهما  
بالياء والواو في مثل [ يسر ينع ولد دلو ] ففي تكوّن « الياء » نلاحظ  
أن اللسان يكون تقريباً في موضع النطق بصوت اللين (i) ، غير أن  
الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق  
منه في حالة النطق بصوت اللين (i) ؛ مما ترتب عليه أننا نسمع ذلك  
النوع الضعيف من الحفيف . فالياء لأنها تشتمل في النطق بها على  
حفيف ، يمكن أن تعد صوتاً ساكناً . أما إذا نظر إلى موضع اللسان  
معها فهي أقرب شبهاً بصوت اللين (i) . لهذا اصطلح المحدثون على  
تسمية الياء بشبه صوت اللين .

وكذلك الواو لا فرق بينها وبين الضمة (u) إلا في أن الفراغ بين  
أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو أضيق منه في حالة  
النطق بالضمة (u) ؛ فيسمع الواو أيضاً نوع ضعيف من الحفيف جعلها  
أشبه بالأصوات الساكنة . أما حين ينظر إلى موضع اللسان معها ،

فيمكن أن نعدّها شبه صوت اللين (u) .  
فالياء والواو هما المرحلة التي عندها يمكن أن ينتقل الصوت  
الساكن إلى صوت لين .

والحقيقة أن الياء صوت انتقالي ، أي أنها تتكون من موضع  
صوت اللين (i) ثم تنتقل بسرعة إلى موضع آخر من مواضع أصوات  
اللين ، كالفتحة مثلاً . وكذلك الواو يبدأ تكونها من موضع صوت اللين  
(u) ثم ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع صوت لين آخر .

فكل من الياء والواو صوت انتقالي . ومن أجل هذه الطبيعة  
الانتقالية ، ولقصرهما وقلة وضوحهما في السمع إذا قيسا بأصوات اللين  
أمكن أن يعدا من الأصوات الساكنة .

فالياء والواو طبيعة مزدوجة ، أثرنا علاجهما علاجاً خاصاً . ويعرض  
لكل من هذين الصوتين ظواهر لغوية كثيرة ، أشهرها أنهما قابلان  
للتحول إلى أصوات لين خالصة . فنخرج الياء كما تحققه التجارب الحديثة ،  
ينطبق إلى حد كبير على وصف القدماء له . أما مخرج الواو فليس  
الشفيتين كما ظن القدماء ؛ بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان حين يلتقي  
بأقصى الحنك ؛ غير أن الشفتين حين النطق بها يستديران ، أو بعبارة أدق  
تكمل استدارتهما . وقد ذكرنا آنفاً أن الشفتين تتأثران بنطق أصوات  
اللين فهما منفرجتان مع أصوات اللين الأمامية ومستديرتان مع  
أصوات اللين الخلفية . فكما تتأثر الشفتان بنطق الياء فتنفرجان معها  
تتأثران أيضاً بنطق الواو فتستديران معها . ولعل وضوح استدارة الشفتين  
مع الواو هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين .

## الفصل الرابع

(١)

### الأصوات الساكنة ومخارجها وصفاتها

سبق أن شرحنا معنى الصوت الساكن . ولحسن الحظ لا تحتاج هذه الأصوات إلى مقاييس كتلك التي احتاجت إليها أصوات اللين ، إذ ليس هناك بين صوتين كالميم والتاء مثلاً ، سلسلة من الأصوات كما لاحظنا في حالة صوتي اللين  $l$  و  $a$  . فهناك سلسلة من أصوات اللين متدرجة بين هذين الصوتين ، كما أن هناك سلسلة أخرى من أصوات اللين بين الصوتين  $a$  و  $u$  . وقد لاحظنا قبلاً ، تدرج أصوات اللين من المقياس الأول  $u$  إلى المقياس الثامن  $u$  . فأصوات اللين مرتبطة بعضها ببعض ، في حين أن الأصوات الساكنة مستقلة بعضها عن بعض ، ويكون كل منها وحدة قائمة بذاتها تفرق بينها المخارج وطريقة النطق . ولا بد إذن في شرح الأصوات الساكنة أن يؤخذ كل صوت على حدة ، وفي لغته . واختلاف أفراد البيئة الواحدة في النطق بالأصوات الساكنة لا يكاد يدرك . ولذلك لا تعنى الدراسات الصوتية بمثل تلك الفروق الضئيلة التي تختلف من شخص لآخر بين أفراد البيئة الواحدة . هذا ومن السهل أن نشرح الأصوات الساكنة ، ممثلة في كلمات لغة من اللغات ، ويكون الاعتراض عليها في هذا الشرح أقل كثيراً مما لو شرحت

أصوات اللين بهذه الطريقة . فالتاء في جميع اللغات اللاتينية الأصل ( كالفرنسية والإيطالية والأسبانية ) نطقها يسكاد يكون متحدداً ؛ بل هو أيضاً نفس نطق التاء في اللغة العربية . في حين أن هذه اللغات المتباينة يندر أن تتحد في صوت لين . على أنه في حالة اختلاف بعض الأصوات الساكنة من لغة لأخرى أو من لهجة لأخرى ، نجد الفرق واضحاً متميزاً لا يحتاج إلى كبير عناء في التعرف عليه . لهذا نؤثر هنا علاج الأصوات الساكنة في اللغة العربية حسب مخارجها ، وكيفية النطق بها ؛ دون الإشارة إلى مقارنتها بنظائرها في لغات أخرى ، ودون نسبتها إلى مقاييس عامة كما كان الحال في شرح أصوات اللين العربية .

### الأصوات الشفوية :

#### الباء « b »

صوت شديد مجهور . يتكون بأن يمر الهواء أولاً بالحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه بالخلق ثم الفم حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقاً كاملاً . فإذا انفرجت الشفتان سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى بالباء . فلننطق بالباء تنطبق الشفتان أولاً حين نحباس الهواء عندهما ، ثم تنفرجان فيسمع صوت الباء .

وقد حرص القدماء على الجهر بهذا الصوت وهو مشكل بالسكون ، أضافوا إليه صوت لين قصير جداً يشبه الكسرة وسموا تلك الظاهرة القلقلة ، حرصاً منهم على إظهار كل ما في هذا الصوت من جهر فلا

يختلط بنظيره المهموس الذى يرمز اليه فى الكتابة الأوربية بالرمز **p** لأن مهموس الباء ليس صوتاً أساسياً من أصوات اللغة العربية .

### الميم « m »

صوت مجهور لاهو بالشديد ولا الرخو؛ بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة. ويتكون هذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة أولاً، فيتذبذب الوتران الصوتيان ، فإذا وصل فى مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك ، فسد مجرى الفم فيتخذ الهواء مجراه فى التجويف الأنفى ، محدثاً فى مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع . وفى أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفى تنطبق الشفتان تمام الانطباق . ولقلة ما يسمع للميم من حفيف اعتبرت فى درجة وسطى بين الشدة والرخاوة . لأن خاصية الأصوات الشديدة هى الانفجار حين النطق بها ، وخاصية الأصوات الرخوة هى نسبة الحفيف الذى قد يصل فى بعض الأصوات الرخوة إلى صفير ، كما فى السين والزاي ... الخ

### الصوت الشفوي الأسنالى :

وهو الفاء فقط « f » . والفاء العربية صوت رخو مهموس ، يتكون بأن يندفع الهواء ماراً بالحنجرة دون أن يتذبذب معه الوتران الصوتيان ، ثم يتخذ الهواء مجراه فى الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت وهو بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا . ويضيق المجرى عند مخرج الصوت ، فنسمع نوعاً عالياً من الحفيف هو الذى يميز الفاء بالرخاوة

وليس للفاء العربية نظير مجهور كذلك الذى نشهده فى معظم اللغات الأوربية والذى يرمز له فيها بالرمز (v) .

### المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج :

أفراد هذه المجموعة هى : (الذال الثاء الظاء . الدال الضاد التاء الطاء السلام النون الراء . الزاى السين الصاد) . ووجه الشبه بين كل هذه الأصوات هو أن مخارجها تكاد تنحصر بين أول اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا (بما فيها أصولها) . على أنه رغم تقارب مخارجها ، تفرق بينها صفات صوتية متباينة تحتم علينا تقسيمها إلى مجاميع فرعية يشترك أفرادها فى المخرج ، أو بعبارة أدق يكاد يتحد مخرج كل من أفراد تلك المجاميع الفرعية .

وتشترك أفراد هذه المجموعة الكبرى فى ظواهر لغوية سنعرض لها فيما بعد . وتلك الظواهر مضافا إليها قرب المخارج ، كان مبررا كافيا لضم أفراد هذه المجموعة فى محيط واحد .

أما المجاميع الفرعية التى تنقسم إليها هذه المجموعة الكبرى فهى :

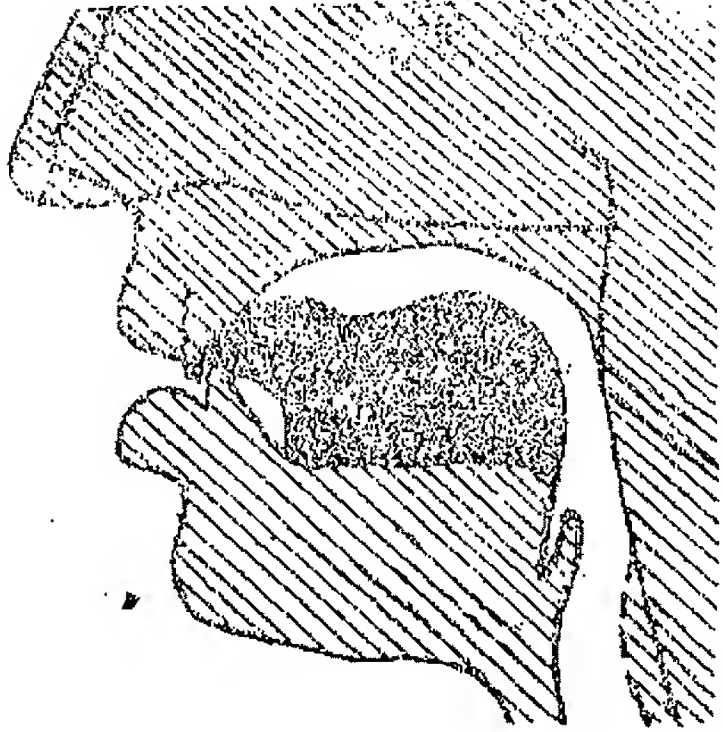
١ — الذال . الثاء . الظاء

وقد اصطلح القدماء على تسمية هذه الأصوات باللاثوية . ولا يعنينا هنا البحث عن سر هذه التسمية القديمة بقدر ما يعنينا معرفة مخرج كل منها وصفته .

فالذال : صوت رخو مجهور . يتكون بأن يندفع معه الهواء مارا

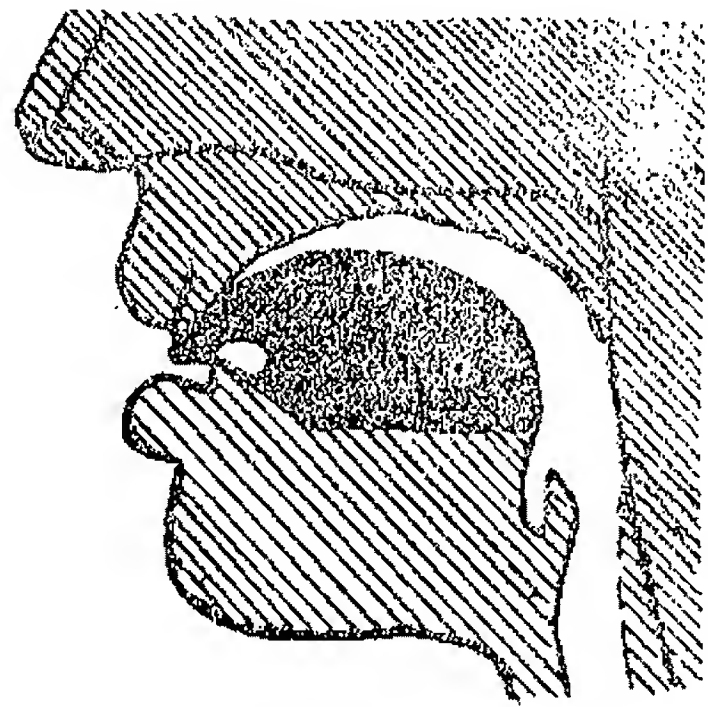
بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ الهواء مجراه فى الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت ، وهو بين طرف اللسان والثنايا العليا ،

وهناك يضيق هذا المجرى فنسمع نوعاً قوياً من الحفيف .  
ولا فرق بين الذال والطاء إلا في أن الطاء صوت مهموس لا يتحرك معه  
الوتران الصوتيان . فالذال إذن صوت مجهور نظيره المهموس هو الطاء .  
أما الطاء : فهي صوت مجهور كالذال تماماً ، ولكن هذا الصوت  
يختلف عن الذال في الوضع الذي يأخذه اللسان مع كل منهما . فعند  
النطق بالطاء ينطبق اللسان على الحنك الأعلى آخذاً شكلاً مقعراً كما  
يلاحظ في الشكلين الآتيين اللذين يمثلان موضع اللسان مع كل من  
الذال والطاء .



(شكل ٧)

وضع اللسان مع ( الطاء ) .



(شكل ٦)

وضع اللسان مع ( الذال ) .

وفي حالة النطق بالطاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك  
ويقتعر وسطه كما هو واضح في الشكل . ولذلك اعتبر القدماء الطاء  
أحد أصوات الاطباق .

ب — الدال . الضاد . التاء . الطاء .

والصفة التي تجمع بين هذه الأصوات الأربعة عدا اتحاد مخارجهم ،



هي الشدة . فعند النطق بكل منها ينحبس الهواء عند المخرج ، فاذا انفصل العضوان المسكوتان للصوت سمع ما يشبه الانفجار ، مما يميز هذه الأصوات بالشدة .

فالدال : صوت شديد مجهور ، يتسكون بأن يندفع الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يأخذ مجراه في الحلق والقصبة حتى يصل إلى مخرج الصوت فيحبس هناك فترة قصيرة جدا لا لتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما . فاذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت انفجاري نسميه بالدال . فالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا يعد حائلا يعترض مجرى الهواء ولا يسمح بتسربه حتى ينفصل العضوان انفصالا مفاجئا يتبعه ذلك الانفجار .

الضاد : الضاد كما نطق بها الآن في مصر لا يختلف عن الدال في شيء سوى أن الضاد أحد أصوات الاطباق . فعند النطق بها ينطبق الايمان على الحنك الأعلى متخذا شكل مقعرا (انظر شكل ٧ صفحة ٥٠) . فالضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا فاذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتا انفجاريا هو الضاد كما تنطق بها في مصر (١) .

ويستدل من وصف القدماء لهذا الصوت على أن الضاد كما وصفها

(١) قال ابن الجزري في كتابه التمهيد [ إن المصريين وبعض اهل المغرب ينطقون بالضاد المعجمه طاء مهملة ]

الخليل ومن نحووا نحوه ، تخالف تلك التي ننطق بها الآن . فالضاد الأصلية كما وصفت في كتب القراءات أقل شدة مما ننطق بها الآن ؛ إذ معها ينفصل العضوان المكونان للنطق انفصالا بطيئا نسبيا ، ترتب عليه أن حل محل الانفجار الفجائي انفجار بطيء نلاحظ معه مرحلة انتقال بين هذا النوع من الأصوات وما يليه من صوت لين . فاذا نطق بالضاد القديمة وقد وليتها فتحة مثلا ، أحسنا بمرحلة انتقال بين الصوتين ، تميز فيها كل منهما تميزا كاملا .

هذا إلى أن الضاد كما وصفها القدماء كانت تتكون بمرور الهواء بالحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم ، غير أن مجراه في الفم جانبي - عن يسار الفم عند أكثر الرواة أو عن يمينه عند بعضهم أو من كلا الجانبين كما يستفاد من كلام سيديويه . ويظهر أن الضاد القديمة كانت عصية النطق على أهالي الأقطار التي فتحها العرب ، أو حتى على بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة ، مما يفسر تلك التسمية القديمة « لغة الضاد » ، كما يظهر أن النطق القديم بالضاد كان إحدى خصائص لهجة قريش .

والذي نستطيع تأكيده هنا هو أن الضاد القديمة قد أصابها بعض التطور حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق في مصر ، وأن هذا التطور كان قد تم في عهد ابن الجزري ، أي في القرن الثامن الهجري .

ولا يزال العراقيون حتى الآن وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد يشبه إلى حد ما الظاء ، كما يشبه إلى حد كبير ذلك الوصف الذي

روى لنا عن الضاد القديمة . والذين مارسوا التعليم في بلاد العراق يذكرون كيف يخلط التلاميذ هناك بين الظاء والضاد .

التاء : صوت شديد مهموس ، لا فرق بينه وبين الدال سوى أن التاء مهموسة والدال نظيرها المجهور . ففي تكون التاء لا يتحرك الوتران الصوتيان ، بل يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، فاذا انفصلا انفصالا فجائيا سمع ذلك الصوت الانفجاري .

الطاء : الطاء كما نعرفها في مصر لا تفرق عن التاء في شيء ، غير أن الطاء أحد أصوات الاطباق ( انظر الشكل ٧ ) . فالطاء كما تنطق بها الآن صوت شديد مهموس يتكون كما تتكون التاء ، غير أن وضع اللسان مع الطاء يختلف عن وضعه مع التاء ، فاللسان مع الطاء يتخذ شكلا مقعرا منطبقاً على الحنك الأعلى .

وقد أجمع الرواة في وصفهم للطاء القديمة على أنها صوت مجهور ، مما يحملنا على الاعتقاد أن الطاء القديمة تخالف التي تنطق بها الآن . على أن وصف الطاء في كتب الأقدمين لا يمكن الباحث المدقق من تحديد كل صفات ذلك الصوت ، ولا كيف كان ينطق به على وجه الدقة . غير أنه من الممكن أن نستنتج من وصفهم أنها كانت صوتاً يشبه الضاد التي نعرفها الآن .

ومما يزيد المشكلة تعقيداً أننا الآن لانكاد نلمح فرقا صوتياً هاماً بين نطق اللهجات العربية المعاصرة للطاء . وليس من المحتمل أن يكون

يكون القدماء قد خلطوا في وصفهم بين صفتي الجهر والهمس فيما يتعلق بهذا الصوت . فلعلّ صوت الطاء كما وصفها القدماء كان يشبه الضاد الحديثة ، ولعلّ الضاد القديمة كانت تشبه ما نسمعه الآن من العراقيين في نطقها ، ثم تطور الصوتان فهمست الأولى وأصبحت الطاء التي نعرفها الآن ، كما اختلف مخرج الثانية وصفتها فأصبحت تلك الضاد الحديثة <sup>(١)</sup> ، أى أن ما كان يسمى بالطاء كان في الحقيقة ذلك الصوت الذي ننطق به الآن ونسميه « ضادا » فلها همست أصبحت الطاء الحديثة التي فيما يظهر لم تكن معروفة في النطق العربي القديم . أما الضاد القديمة العصرية النطق فقد تطور مخرجها وصفتها حتى أصبحت على الصورة التي نعهد لها في مصر .

ح — اللام . الراء . النون .

لقد سمي بعض القدماء هذه الاصوات الثلاثة بالاصوات الذلقية . ولن أحاول هنا التعرض لسرّ هذه التسمية القديمة ، وإنما أبغى الاتّفاق بها فقط . ولا شك أن المؤلفين القدماء قد أحسوا بالعلاقة الصوتية بين هذه الاصوات فجمعوها تحت اسم واحد أيّنا كان هذا الاسم . وكذلك المحدثون من علماء الاصوات اللغوية يرون وجه شبه كبير بين هذه الاصوات الثلاثة كما سنبين فيما بعد ، فلا بأس إذن من أن نعهد لها مجموعة صوتية متميزة .

---

(١) يؤيد ما نذهب إليه قول ابن جني في كتابه سر صناعة الاعراب صفحة ٦٥

(لولا الاطباق لصارت الطاء دالا والصاد سيناً ولخرجت الضاد من الكلام) .

إما وجه الشبه بين أفراد هذه المجموعة الفرعية كما يراه المحدثون فهو أنها على قرب مخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع . ولهذا أشبهت من هذه الناحية أصوات اللين . فهي جميعاً ليست شديدة أى لا يسمع معها انفجار ، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة . ولذلك عدّها القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة . أما باقى الأصوات المتوسطة كالميم والعين فهما بعيدان عن أصواتنا الثلاثة من ناحية المخرج وإن اتحدتا معها صفة .

المعوصم : اللام نوعان مرققة ومغلظة . على أن الأصل في اللام العربية الترقيق ولا يجوز الرجوع عن هذا الأصل عند جمهور القراء إلا بشرطين :

( ١ ) أن يجاور اللام أحد أصوات الاستعلاء « ولا سيما الصاد والطاء والظاء » ساكناً أو مفتوحاً .

( ٢ ) أن تكون اللام نفسها مفتوحة .

مثل : وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم — سيصلى ناراً ذات لهب — سلام هي حتى مطلع الفجر — والمطالقات يتربصن بأنفسهن — وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون — ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً على أن جمهور القراء قد أجمعوا على تغليظ اللام في اسم الجلالة إذا لم يسبقها كسرة نحو : بسم الله .

واللام صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ، ومجهور أيضاً . ويتكون

هذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعاً ضعيفاً من الحفيف . وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبي الفم أو من كليهما ، يتصل طرف اللسان بأصول الشيا العليا وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه .

أما الفرق بين اللام المرققة والمغلظة فهو في وضع اللسان مع كل منهما . لأن اللسان مع المغلظة يتخذ شكلاً مقعراً كما هو الحال مع أصوات الإطباق . ( أنظر شكل ٧ صفحة ٥٠ ) فالفرق بين اللام المرققة والمغلظة هو نفس الفرق الصوتي بين الدال والضاد ، أو التاء والطاء . ولكن الرسم العربي لم يرمز إلى اللام المغلظة برمز خاص تختلف باختلافه الكلمة . لهذا نعد نوعي اللام صوتاً واحداً ولكن « التاء » صوت مستقل عن « الطاء » تختلف الكلمة في معناها مع كل منهما .

ومن القراء من يفخم معظم الالات مثل « ورش » القارىء المصرى المشهور ، مما هو مفصل في كتب القراءات .

الراء : هى أيضاً نوعان : مرققة ومفخمة . ورغم اختلاف القراء في تفخيم الراء وترقيقها إلى حد يشبه الاضطراب ، يمكن أن نستخلص من تلك الآراء المتشعبة ضوابط عامة يكاد يجمع عليها القراء :

( ١ ) تفخم الراء المفتوحة والمضمومة إلا إذا سبقها كسرة أو ياء ساكنة نحو : رزقكم - كبيرة - وهم رقود - صبروا .

ولكنها ترقق في مثل : لم يكن الله ليغفر لهم - فقد خسر  
خسراً مبيتاً .

(٢) ترقق الراء المكسورة مطلقاً مثل رزق - رجس .

(٣) تفخم الراء الساكنة إذا سبقها فتح أو ضم مثل :

رجعون - سارهمه

(٤) ولكن الساكنة التي يسبقها كسر فترقق مثل : فرعون ،

إلا إذا ولها صوت استعلاء مثل : قرطاس .

والفرق بين الراء المرققة والمفخمة يشبه الفرق بين اللام المرققة  
والمغلظة ، أى أن الراء المفخمة تعد من الناحية الصوتية أحد أصوات  
الإطباق ، وليكن الرسم العربي لم يرمز لها بمرز خاص يتغير بتغيره معنى  
الكلمة . ولهذا نعد كلا النوعين صوتاً واحداً .

وليس يغنى عنا شيئاً أن نبحث في : هل الأصل في الراء التفخيم  
أم الترقيق ؟ ولكن السكثرة فيما ورد من الراءات جاء مفخماً ، وذلك لأن  
نسبة شيوع الفتحة في اللغة العربية حوالى ٤٦٠ في كل ألف من الحركات  
قصيرها وطويلها ، في حين أن الكسرة حوالى ١٧٤ والضممة ١٤٦ .  
على أنه مما لا شك فيه أن العرب كانوا يستقبحون تفخيم الراءات  
المكسورة وينسبون تفخيم الراء المكسورة إلى العوام وإلى « النبط »  
على ما روى في كتب القدماء .

والراء صوت مكرر ، لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما  
يلى الثنايا العليا يتكرر في أثناء النطق بها ، كأنما يطرق طرف اللسان حافة

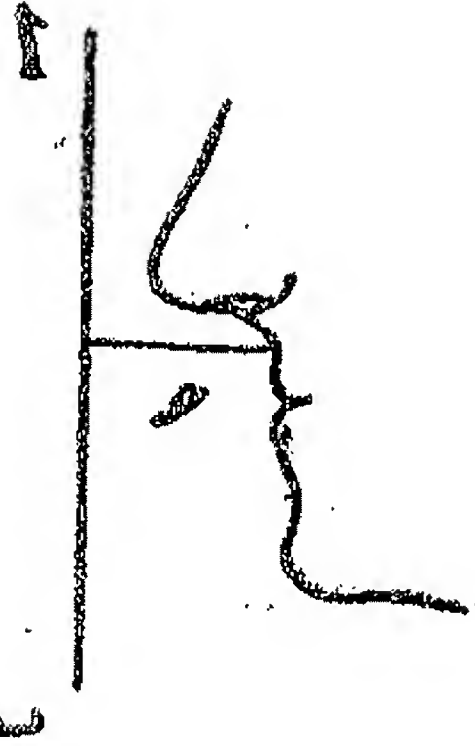
الحنك طرقاً ليناً يسيراً مرتين أو ثلاثاً لتتكون الراء العربية .  
والراء كاللام في أنها من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة  
وأن كلا منهما مجهور . فلتسكون الراء يندفع الهواء من الرئتين ماراً  
بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى  
يصل إلى مخرجه وهو طرف اللسان ملتقياً بحافة الحنك الأعلى فيضيق  
هناك مجرى الهواء .

والصفة المميزة للراء هي تكرار طرق اللسان للحنك عند النطق بها .  
النون : النون صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة . ففي  
النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركاً الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ  
مجراه في الحلق أولاً حتى إذا وصل إلى أقصى الحلق هبط أقصى الحنك  
الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي  
محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع . فهي كالميم تماماً غير  
أنه يفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقي بأصول الشايات العليا .  
ولبيان أن مجرى الهواء مع كل من الميم والنون هو التجويف  
الأنفي وحده يمكن أن تجرى التجربة الآتية .

يضع المتكلم بطاقة صغيرة بين أنفه وفمه وضعاً أفقياً كما هو مبين في  
الشكل الآتي ثم يقترب من لوح بارد من الزجاج بحيث يلتقي طرف  
البطاقة بالزجاج ، وينطق أمامه بالصوتين م ن عدة مرات فيلاحظ  
أن تنفسه يتكاثف فوق الزجاج ويغبر الجزء الزجاجي المقابل للأنف  
فقط ، في حين أنه لو أعاد التجربة ونطق بأصوات مثل : س ج ل رأى



اغبرار الزجاج في الجزء الذي أمام الفم فقط .



( شكل ٨ )

١ ، ب — لوح من الزجاج

ح — البطاقة

وقد خصت كتب القراءات «النون» بالبحث الخاص، وأفردت لها فصولا درست فيها أحكام النون من إظهار وإخفاء وإدغام وقلب . ويعرض للنون من الظواهر اللغوية ما لا يشركها فيه غيرها لسرعة تأثرها بما يجاورها من أصوات ولأنها بعد اللام أكثر الأصوات الساكنة شيوعا في اللغة العربية . والنون أشد ما تكون تأثرا بما يجاورها من أصوات حين تكون مشككة بالسكون .

**إظهار النون :** لا تكاد النون تتأثر بأصوات الحلق حين تجاورها، وربما كان هذا لبعد مخرج النون عن مخرج هذه الأصوات . فالنون في عدم تأثرها بأصوات الحلق تماثل اللام، فكل من النون واللام لا يتأثر بأصوات الحلق؛ بل ينطق بهما خالصتين من كل شائبة . ويتوقف تأثر النون بما يجاورها من أصوات على نسبة بعد المخرج . فهي أكثر تأثرا بمجاورة أصوات طرف اللسان ووسطه من تلك التي مخرجها أقصى اللسان . وليس المخرج وحده هو العامل الوحيد في هذا التأثير، بل لابد

معها من صفة الصوت، من شدة أو رخاوة . فالنون التي هي من الأصوات المتوسطة أقل تأثراً بأصوات الشدة والرخاوة من تأثرها بمثيلاتها من الأصوات المتوسطة . ولا بد من مراعاة العاملين معاً للحكم على نسبة تأثر النون بما يجاورها .

هذا هو ما بنى عليه القدماء أحكام النون المشهورة . فلا تكاد تتأثر النون إذا وليها صوت لين . أما النون المشككة بالسكون فينعدم تأثرها بأصوات الحلق ، لبعدها المخرج والصفة بين النون وهذه الأصوات . على أن اشتراك العين مع النون في صفة التوسط لم يكن مبرراً كافياً في رأى القدماء لإحداث هذا التأثير . فرغم أن كلا من النون والعين من الأصوات المتوسطة لا نكاد نلاحظ أى نوع من تأثر النون بمجاورتها للعين في مثل «أنعمت» . وربما أثبتت البحوث المستقبلية نوعاً من التأثير لم يفطن إليه من قبل .

و درجات تأثر النون بالأصوات المجاورة تتراوح بين إظهارها خالصة دون شائبة مع أصوات الحلق ، وادغامها ادغاماً كاملاً في الراء واللام إذ تبنى النون فيهما عند جمهور القراء . وبين إظهار النون وادغامها ادغاماً كاملاً ، نلاحظ درجات مختلفة لتأثر النون هي : (١) إخفاؤها (٢) ادغامها ادغاماً ناقصاً وهو فناء النون مع بقاء ما يشعر بها ، وهو الذى اصطلح على تسميته الادغام بالغنة .

أما إظهار النون مع أصوات الحلق فنلاحظه في مثل :

من آمن — أنهارا — وانحر — أنعمت — من خير — من غل

تفنى مثل هذه الحالات لا نكاد نلاحظ تأثير اللنون ، لأنها جاورت أصوات الحلق . واختلاف بعض القراء فى حكم النون حين تجاور الغين والحاء بين الأظهار والاختفاء يوضح لنا أن بعد مخرج الصوت المجاور للنون هو العامل الأساسى فى تأثيرها ، لأن مخرج هذين الصوتين هو أدنى الحلق إلى الفم . فمن نظر إليهما على أنهما أقرب إلى أصوات الفم أخفى النون معهما ، ومن نظر إليهما على أنهما من أصوات الحلق أظهرها .

ويظهر أن النون قد تطورت تطوراً كبيراً فى لهجات الكلام منذ القرون الإسلامية الأولى ؛ فمالت إلى أن تدغم مع السكثرة الغالبة من الأصوات الساكنة مما جعل القراء يبالغون فى الجهر بغنة النون مع أصوات الفم خشية أن تفنى النون فيها . وفناء النون ظاهرة شائعة فى اللغة العبرية أكثر من شيوعها فى اللغة العربية ؛ لأن النون تدغم مع السكثرة الغالبة من الأصوات الساكنة فى اللغة العبرية . ويترتب على ادغامها فناؤها فناء تاماً .

فإظهار النون من الظواهر اللغوية القديمة فى اللغات السامية تطورت فيما بعد إلى الإدغام . وميل النون إلى الإدغام أو الفناء فى غيرها يمكن أن يلاحظ الآن فى اللهجات العربية الحديثة ، التى هى تطور للغة العربية الفصحى . فكما تطورت النون فى العبرية حتى صارت إلى الفناء فى السكثرة الغالبة من أصواتها ، تطورت أيضاً فى اللهجات العربية الحديثة وإن اختلفت نسبة التطور فى كل منهما .

ويظهر أن ميل النون إلى هذا التطور قد لوحظ منذ القرون

الإسلامية الأولى، مما جعل القراء يحركون على وضع قواعد خاصة بالنون يفرقون بها بين النطق المروى عن فصحاء العرب للنون وبين ذلك النطق الذى شاع فى لهجات الكلام بعد اتساع رقعة المملكة العربية .

واللغة العبرية كالعربية لا يلاحظ فيها ميل النون إلى الفناء فى أصوات الحلق، وإنما مالت النون فى اللغتين منذ القدم إلى الفناء فى غير هذه الأصوات .

والوسيلة التى لجأ إليها القراء منذ القدم لإعطاء النون بعض حقيقتها الصوتية مع غير أصوات الحلق هى الغنة . فالغنة التى حالت بين النون وفنائها فى غيرها من الأصوات هى وسيلة لجأ القراء إليها احترازاً من أن يقرأ القرآن كما يتكلم الناس فى أحاديثهم الدارجة . لأن النون فى تلك الأحاديث مالت فيما يظهر إلى الفناء فى غيرها من الأصوات دون أن تخلف أية إشارة تنبئ بها .

وليست الغنة إلا إطالة لصوت النون . فالزمن الذى يستغرقه النطق بالغنة هى فى معظم الأحيان أضعاف ما تحتاج إليه النون المظهرة . وليس هذا إلا للحيلولة بين النون والفناء فى غيرها . فالفرق بين النون المظهرة ونون الغنة فرق فى الكمية من ناحية ، وتطور النون وميلها إلى مخرج الصوت المجاور من ناحية أخرى .

### انقفاء النون :

الدرجة التى تلى إظهار النون هى ما اصطلح القدماء على تسميته بالإنقفاء ، ويكون هذا مع خمسة عشر صوتاً عند جمهور القراء هى :

القاف . الكاف . الجيم . الشين . السين . الصاد . الزاي .  
الضاد . الدال . التاء . الطاء . الذال . الثاء . الظاء . الفاء  
وليس ماسمونه بالإخفاء إلا محاولة الإبقاء على النون وذلك بإطالتها بما  
أدى إلى ما نسميه بالغنة . هذا إلى أننا نلاحظ مع ما يسمونه بالإخفاء  
ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها .

### الغناصم النون :

المرحلة الثالثة هي مرحلة فناء النون فقد تفتى النون تاركة وراءها  
نوعاً من الغنة وذلك عند مجاورتها للياء والواو . فإذا ولى النون المشكلة  
بالسكون ياءً أو واو شددت الياء أو الواو ، ثم سمح عند النطق بهما أن  
يتخذ الهواء مجراه من طريقين معاً هما الفراغ الأنفي والفم . وهذا  
ما اصطاح المحدثون على تسميته Nazalisation أى أن يشترك الفراغ  
الأنفي مع مجرى الصوت من الفم . ويمكن أن نسمى مثل هذا الصوت  
بالصوت « الأنفي » (١) . ومن اللغات ما تشيع فيها هذه الظاهرة  
كالفرنسية . وكذلك قد تشيع في بعض الشعوب كاليهود فهم يميلون  
لنطق بمعظم الأصوات من أنوفهم كأنهم خنف ، أى أن معظم  
أصواتهم أنفية .

ومن الناحية الصوتية البحتة يمكن الإنسان أن يشرك مع مجرى  
الهواء في الفم مجرى آخر في الفراغ الأنفي . فيمكن النطق بالدال مثلاً  
أنفية بأن يتخذ الهواء مجراه بعد مروره بالخلق من طريقين ، بعضه

(١) أنفي : كلمة منحوتة من كلمتين هما الأنف والفم .

يتسرب من الفراغ الأنفي والبعض الآخر من الفم ، مما يترتب عليه سماع صوت ثقيل على الأذن العربية ، غير مقبول في نطق اللغة العربية وإن كان ضرورياً في نطق بعض اللغات الأخرى .

ففي نطق جميع الأصوات العربية ما عدا النون والميم يرتفع أقصى الحنك فيسد الفراغ الأنفي ولا يسمح لمروء الهواء فيه . ولكن أقصى الحنك يهبط مع النون والميم تاركاً كل الهواء يمر من الفراغ الأنفي وحده ، مما يجعلنا نسمى كلا من النون والميم أصواتاً خيشومية . والحالة الوحيدة التي يسمح فيها بمروء الهواء من الأنف والفم معاً هي عند جمهور القراء حين تلتقي النون بكل من الياء والواو . فذلك الصوت الأنفي الذي نسمعه في قراءة أمثال :

[ مَنْ يقول - مَنْ وال ] ليس نوناً بل هو ياء أنفمية أو واو أنفمية يسمح عند النطق بها بأن يمر الهواء من كل من الأنف والفم فالنون في المثل الأول قلبت ياء وفي الثاني واو ، ولكن هذه الياء وتلك الواو قد شاب كلا منهما شائبة وهي النطق بهما من الأنف والفم معاً . فهو نوع من القلب تبعه إدغام . ولكنه قلب ناقص إذ لم يتحول الصوت المقلوب إلى كل صفات الصوت المقلوب إليه ، مما جعل القدماء يسمون هذا النوع من الإدغام ناقصاً . أما إذا ولي النون المشكلة بالسكون نون أخرى أو ميم ، ففي الحالة الأولى تدغم النون في النون ككل صوتين متماثلين . والغنة في هذه الحالة ليست إلا لاطالة الصوت المشدد فلا يقل في وضوحه عنه في حالات الاخفاء . هذا إلى أن الغنة مع النون المشددة تهب نغمة

موسيقية محببة إلى الأذن العربية وتقضى على تلك العادة الشائعة في بعض اللهجات العربية الحديثة من الميل إلى قلب النون الأولى صوت لين ، أو همسها اكتفاء بجهر الثانية . ولم يكن من الضروري إطالة الغنة في هذه الحالة بنفس القدر الذي نحتاج إليه في حالة الاختفاء ، ولكن الانسجام بين طول الصوت الواحد في مواضعه المختلفة جعل القراء لا يفرقون بين الغنة في هذا الموضع وبينها في حالة الاختفاء .

أما إذا ولي النون ميم فالنون هنا تفنى فناء تاماً في الميم . فهو ادغام كامل لا ريب في هذا . والغنة في هذه الحالة هي غنة الميم المشددة . ويجدر بنا هنا الإشارة إلى أحكام الميم المشكلة بالسكون ؛ لأنها تشبه إلى حد ما أحكام النون من إدغام وإخفاء وإظهار .

### إظهار الميم :

هو الشائع الغالب على هذا الصوت ، وذلك لأنه أقل تأثراً من النون بما يجاوره من الأصوات . فاحتمال فناء الميم في غيرها نادر ، على أن القراء قد نهوا إلى الاحتراز من إخفاء الميم مع صوت الشفة المسمى بالفاء في نحو : « هم فيها خالدون » لأن الميم مع هذا الصوت تميل في بعض اللهجات العربية قديمها وحديثها إلى نوع من الإدغام نظراً لقرب المخرج .

### إخفاء الميم :

لقد اختلف في إخفاء الميم مع الباء ، ولكن الجمهور رجح إخفاءها معها . لأن الباء صوت شديد يؤثر في نظائره المجاورة أكثر مما يمكن

أن تؤثر الفاء . فرغبة في الاحتراز من فناء الميم في الباء ظهرت الغنة التي تشعر بوجود الميم . ويؤيد هذا ما ذهبنا إليه آنفاً من أن الغنة ليست إلا إطالة للصوت لئلا يفنى في غيره . وغنة الميم قليلة الشيوع لا يلجأ إليها إلا قليلاً ، وذلك حين يليها باء يخشى معها من فناء الميم فيها ، أو حين تكون مشددة نحو : يعتصم بالله - جمالة الخطب .

أما في غير ذلك فقد أجمع القراء على إظهار الميم . وقول القراء إن النون أصل في الغنة من الميم قول لا يبرره إلا كثرة شيوع الغنة مع النون وقلتها مع الميم . وليس معناه كما فهم بعض القدماء أن النون أقرب إلى الخيشوم من الميم . فعند النطق بكليهما يتخذ الهواء مجراه من الخيشوم فقط .

و - السين . الزاي . الصاد .

إننا نؤثر تسمية هذه الأصوات بالأصوات الأسلية ، رغم أن معظم كتب القراءات تسميها تسمية أخرى أكثر شهرة ، ولكنها أقل دقة وهي « أصوات الصفير » . وذلك لأن مجرى هذه الأصوات يضيق جداً عند مخرجها فتحدث عند النطق بها صفيراً عالياً لا يشركها في نسبها علو هذا الصفير غيرها من الأصوات . ولكن المحدثين من علماء الأصوات اللغوية يجمعون كل الأصوات التي تحدث في نطقها ذلك الخفيف أو الصفير عالياً كان أو منخفضاً في صعيد واحد ، فالأصوات التي يسمع لها صفير واضح في رأى المحدثين هي :

ث . ذ . ز . س . ش . ص . ظ . ف



على أن هذه الأصوات تختلف في نسبة وضوح صفيها . وأعلاها صفيراً هي السين والزاي والصاد ، مما يمكن أن يبرر تسميتها في كتب القدماء بأصوات الصفيير ، وقصر هذه الصفة عليها . وإذا أدركنا أن هذا الصفيير ليس إلا نتيجة ضيق المجري عند مخرج الصوت ، عرفنا أن المجري عند مخرج [ الثاء والذال والزاي والسين والشين والصاد والطاء والفاء ] تختلف نسبة ضيقه تبعاً لعلو الصفيير مع كل منها . فعلى قدر ضيق المجري يكون علو الصفيير ووضوحه . وأضيق ما يكون مجري الهواء عند النطق بالسين والزاي والصاد .

لهذا كله تؤثر هنا تسمية السين والزاي والصاد بالأصوات الأساسية، دون البحث في سر هذه التسمية القديمة، وإنما ننظر إليها على أنها مجرد تسمية لأصوات ذات صفة واحدة .

#### الصيوع :

صوت رخو مهموس ، يختلف بعض الاختلاف في مخرجه باختلاف اللهجات العربية ، بل وباختلاف الأفراد أحياناً . ففي بعض اللهجات يشتد صفيير السين عنها في البعض الآخر ؛ بل وقد يختلف وضع اللسان معها . على أن الفروق بين هذه الأنواع من السين ليست من الأهمية من الناحية اللغوية . فنطلق جميع اللهجات لها مقبول حسن . فإذا وصف لنا مخرج السين في كتب القراءات القديمة على أنه من طرف اللسان فويق الثنايا السفلى ، كان هذا الوصف في مجموعه مقبولاً لأنه يكون نوعاً من السين لا يراها العربي غريبة على سمعه . ولكن

الكثرة الغالبة منا الآن ينطقون بالسين من أول اللسان ( مشتركاً معه طرف اللسان في بعض الأحيان ) حين يكاد يلتقي بأصول الثنايا العليا . وتتميز السين أيضاً بأنه عند النطق بها تقترب الأسنان العليا من السفلى فلا يكون بينهما إلا منفذ ضيق جداً . كما أن السين العربية عالية الصغير إذا قيست بها في بعض اللغات الأوروبية كالإنجليزية مثلاً .

فللنطق بالسين يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو كما تقدم عند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جداً يندفع خلاله الهواء فيحدث ذلك الصغير العالي . هذا إلى اقتراب الأسنان العليا من السفلى في حالة النطق بهذا الصوت .

### الزاي :

صوت رخو مجهور يناظر صوت السين . فلا فرق بين الزاي والسين إلا في أن الزاي صوت مجهور نظيره المهموس هو السين . فللنطق بالزاي يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه من الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو التقاء أول اللسان ( مشتركاً مع طرفه عند بعض الأفراد ) بالثنايا السفلى أو العليا على النحو المتقدم شرحه مع السين .

### الصاد :

صوت رخو مهموس ، يشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحده

أصوات الأطباق ( انظر شكل ٧ صفحة ٥٠ ) . فعند النطق بالصاد يتخذ اللسان وضعاً مخالفاً لوضعه مع السين ، إذ يكون مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى ، مع تصعد أقصى اللسان وطرفه نحو الحنك ككل الأصوات المطابقة .

### أصوات وسط الحنك :

الشين : صوت رخو مهموس ، عند النطق به يندفع الهواء من الرتين ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق ثم الفم مع مراعاة أن منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أضيق منها عند النطق بالسين ، فإذا وصل الهواء إلى مخرج الشين وهو عند التقاء أول اللسان وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى ، فلا بد أن يترك التقاء العضوين بينهما فراغاً ضيقاً يسبب نوعاً من الصفير أقل من صفير السين ، وذلك لأن مجرى السين عند مخرجها أضيق من مجرى الشين عند المخرج . ويلاحظ عند النطق بالشين أن اللسان كما يرتفع نحو الحنك الأعلى كما أن الأسنان العليا تقترب من السفلى ، غير أن نسبة هذا الاقتراب أقل منه في حالة النطق بالسين .

وللشين صوت نظير مجهور نسمعه أحياناً في لغة الكلام عند بعض المصريين ، وذلك عند النطق بكلمة مثل « مشغول » . وهذا الصوت المجهور يستعمله أهالي سوريا في نطقهم للجيم العربية ، وهو نوع من الجيم الشديدة التعطيش يشبه ما يسمع في مثل الكلمة الانجليزية (measure) .

الجيم العربية التفصيصة : ليس لدينا من دليل يوضح لنا كيف كان ينطق بالجيم بين فصحاء العرب ، لأنها تطورت تطورا كبيرا في اللهجات العربية الحديثة . فطورا نسمعها في السنة القاهرية بخالية من التعطيش وهي جيم أقصى الحنك ، وحيناً نجدها وقد بولغ في تعطيشها كما هو الحال في سوريا ، وأخرى نجدها صوتاً آخر يبعد إلى حد كبير عن الصوت الأصلي مثل نطق بعض أهالي الصعيد حين ينطقون بها « دالا » . ويظهر أن الجيم التي نسمعها الآن من مجيى القراءة القرآنية ، هي أقرب الجميع إلى الجيم الأصلية ، إن لم تكن هي نفسها . والجيم التي نسمعها الآن من المجيدين للقراءة صوت شديد مجهور ، يتكون بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى الخارج : وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء محكما بحيث ينحس هناك مجرى الهواء : فاذا انفصل العضوان انفصالا بطيئاً ، سمع صوت يكاد يكون انفجارياً هو الجيم العربية التفصيصة . فانفصال العضوين هنا أبطأ قليلاً منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى . ولهذا يمكن أن تسمى الجيم العربية التفصيصة صوتاً قليل الشدة .

وتطور هذه الجيم العربية إلى الجيم القاهرية ، أو إلى « الدال » في لهجة بعض أهالي صعيد مصر تطور طبيعي ، تدرج القوانين الصوتية ، لأنها في حالة تطورها إلى الجيم لم تؤد على أن تدرجت بخرجها إلى وراء قليلاً فقربت من أقصى الحنك ، وبهذا زادت شدة وانقطع

ما يسمى عادة بالتعطيش . أما في تطورها إلى « الدال » فقد اقتربت قليلا بمخرجها إلى الأمام ؛ وبذلك زادت شدة أيضاً وانقطع تعطيشها . على أن الجيم الأصلية لا تزال تسمع حتى الآن في بعض لهجات صعيد مصر ومن بعض القبائل العربية السودانية .

### أصوات أقصى الحنك :

الطاف : صوت شديد مهموس ، يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً ، فاذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباساً كاملاً ، لا اتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى ، فلا يسمع بمرور الهواء . فاذا انفصل العضوان انفصالاً مفاجئاً انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثاً صوتاً انفجارياً هو ما نسميه بالكاف . غير أنه يظهر أن انفصال العضوين في النطق بالكاف العربية أبطأ منه في كثير من اللغات الأوربية ، التي فيها الكاف أكثر شدة ، فلا يسمع لانفجارها ذيول صوتية .

والكاف نظير مجهور هو الجيم القاهرية التي نسمعها أيضاً في اللغة العبرية والسريانية ، فهو صوت سامى شائع في معظم اللهجات السامية . وهذا الصوت لا يفترق من الكاف في شيء سوى أن الجيم مجهورة والكاف مهموسة ؛ ولكن انفصال العضوين في الجيم القاهرية فجائي ، وهي لهذا أكثر شدة من الكاف .

القاف : القاف كما ينطق بها الآن في مصر بين مجيى القراءات  
صوت شديد مهموس ، رغم أن جميع كتب القراءات قد وصفتها بأنها  
أحد الأصوات المجهورة . وقد تطورت القاف في اللهجات العربية  
الحديثة تطوراً ذاشان ، لا نستطيع معه أن نؤكد كيف كان ينطق بها بين  
الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الإسلامية الأولى . على أننا  
نستنتج من وصف القدماء لهذا الصوت أنه كان يشبه إلى حد كبير تلك  
القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان . فهم  
ينطقون بها نطقاً يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة إذ نسمعها  
منهم نوعاً من « الغين » . والذين مارسوا التدريس لأبناء السودان  
يذكرون كيف يخلط التلاميذ السوداني بين القاف والغين في نطقه  
وفي إملاؤه .

لهذا نفترض هنا أن القاف الأصلية كانت تشبه ذلك الصوت  
المجهور الذي نسمعه الآن من بعض القبائل السودانية ، ثم فُهم مع  
توالي الزمن فأدى إلى ما نعهده في قراءاتنا . إذ لا فرق بين نطق السودانيين  
للقاف وبين نطق المجيى للقراءة من المصريين لها إلا في أنها مجهورة  
عند السودانيين ، مهموسة عند المصريين أو بعبارة أخرى مهموسة في  
معظم اللهجات العربية الحديثة .

قللقاف في القراءات القرآنية بين المتكلمين باللغة العربية نطقان :  
أحدهما مهموس وهو الأكثر شيوعاً ، والآخر مجهور . ولكن القاف  
في اللهجات الدارجة قد تطورت تطوراً آخر أبعد أثراً ، فهي تسمع في

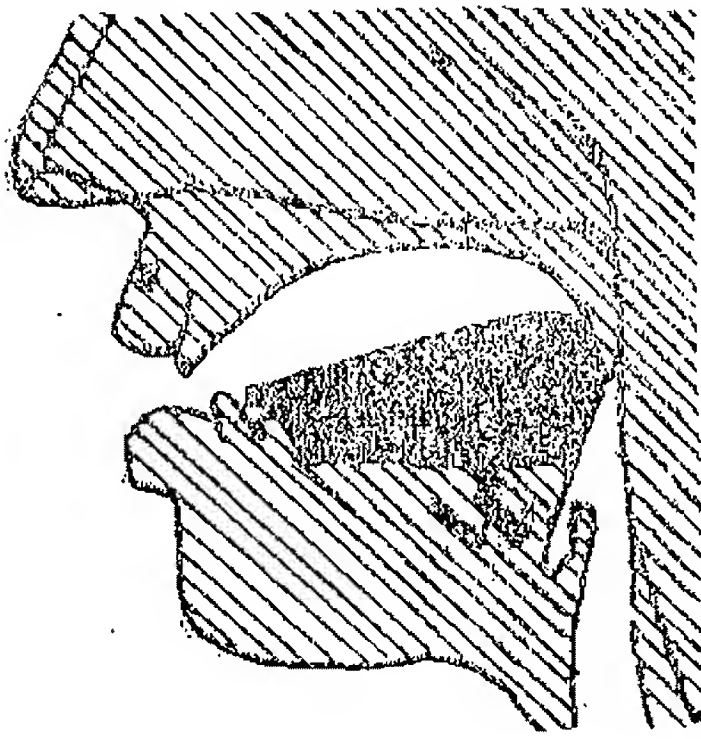
لغة الكلام بمصر والشام همزة ، وتسمع جيماً كالجيم القاهرية في بعض البيئات بصعيد مصر وبين كثير من قبائل البدو في الصحراء .

وتطور الصوت بتغير نخرجه يكون بأحد طريقين ، إما بانتقال المخرج إلى وراء أو إلى الأمام ، باحثاً الصوت في انتقاله عن أقرب الأصوات . شهماً به من الناحية الصوتية . فتعمق القاف في الحلق عند المصريين لا يصادف من أصوات الحلق ما يشبه القاف إلا الهمزة ، لوجود صفة الشدة في كل منهما . فليس غريباً إذن أن تطورت القاف في لغة الكلام عندنا إلى الهمزة ، فليس بين أصوات الحلق صوت شديد إلا الهمزة . أما في الانتقال بمخرج القاف إلى الأمام فنجد أن أقرب الخارج لها هو مخرج الجيم القاهرية والكاف ، فلا غرابة أن تتطور القاف إلى أحدهما . وقد رجح تطور القاف في لغة البدو وبعض أهالي بصعيد مصر إلى الجيم ، أن القاف في الأصل صوت مجهور ، فحين تتطور تنتقل إلى صوت مجهور أيضاً يشبهها صفة . لهذا اختارت القاف في تطورها الأمامي الجيم دون الكاف ، لأن كلا من القاف الأصلية والجيم القاهرية صوت شديد مجهور . على أنه إذا تمّ تطور أممي آخر في المستقبل للقاف كما ننطق بها الآن في قراءتنا ، فسيكون حتماً بأن تقلب كافاً ، لأن كليهما صوت شديد مهموس .

فاللنطق بالقاف كما نعهدها في قراءتنا يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدنى الحلق من الفم ، وهناك ينحبس الهواء باتصال أدنى

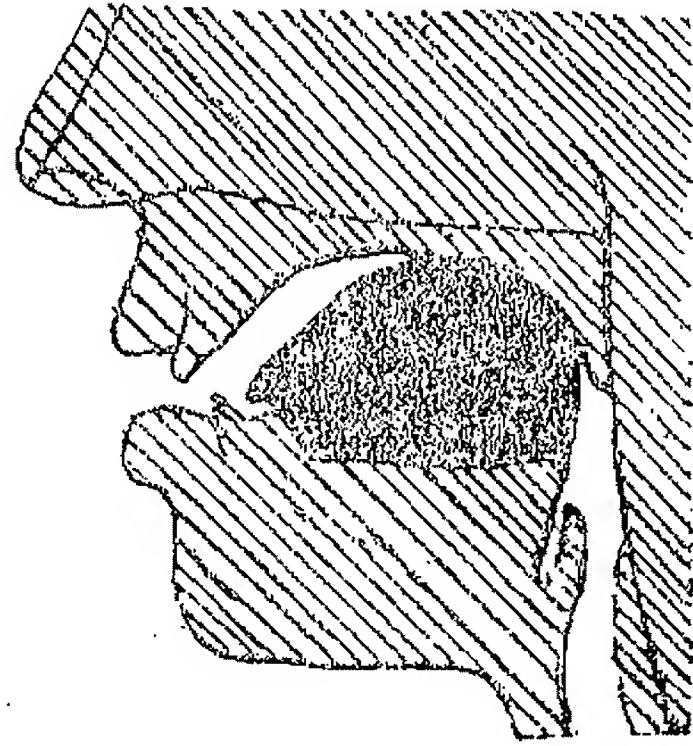


الحلق ( بما في ذلك اللهاة ) بأقصى اللسان ثم ينفصل العضوان انفصالاً مفاجئاً ، فيحدث الهواء صوتاً انفجارياً شديداً ، فلا فرق بين القاف كما نتطق بها ، وبين الكاف إلا في أن القاف أعمق قليلاً في مخرجها . ولذلك يمكن أن تسمى القاف صوتاً لهوياً نسبة إلى اللهاة ( أنظر الشكاين الآتين ) .



( شكل ١٠ )

وضع اللسان مع القاف



( شكل ٩ )

وضع اللسان مع الكاف

### الأصوات الحلقية :

[ الغين . الحاء . العين . الحاء . الهاء . الهمزة ]

تتميز الفصيحة السامية من اللغات بهذه الأصوات أو بمعظمها . وتلعب هذه الأصوات دوراً هاماً في نحو اللغات السامية . والمحدثون من علماء الأصوات اللغوية لم يحاولوا حتى الآن تحديد وظيفة الحلق بين أعضاء الصوت ، ولعل البحوث المستقبلية تكشف لنا عن أسرار جديدة لأصوات الحلق .



وأصوات الخلق ، ما عدا الهمزة ، كما يصفها القدماء والمحدثون أصوات رخوة ، أى يسمع لها نوع من الخفيف عند النطق بها .

العين : صوت رخو مجبور يخرج منه أدنى الخلق إلى الفم . فعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه فى الخلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم ، وهناك يضيق المجرى فيحدث الهواء نوعاً من الخفيف ، وبذلك تسكون العين .

الخاء : تشترك الخاء مع العين فى كل شئ ، غير أن العين صوت مجبور نظيره المهموس هو الخاء . فكل من العين والخاء صوت رخو ومخرجهما واحد . فعند النطق بالخاء يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه فى الخلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم .

العين : عده هذا الصوت عند القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة . ولعل السر فى هذا هو ضعف ما يسمع لها من خفيف إذا قورنت بالعين . وضعف خفيفها يقربها من الميم والنون واللام ويجعلها مثل هذه الأصوات ، أقرب إلى طبيعة أصوات اللين .

والعين صوت مجبور يخرج منه وسط الخلق . فعند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين حتى إذا وصل إلى وسط الخلق ضاقت المجرى ، ولو لكان ضيق مجراه عند مخرجه أقل من ضيقه مع العين ، مما جعل العين أقل رخاوة من العين .

الحاء : هو الصوت المهموس الذى يناظر العين ، فخرجهما واحداً ولا فرق بينهما إلا فى أن الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين .

الهاء : صوت رخو مهموس ، عند النطق به يظل المزمار منبسطاً دون أن يتحرك الوتران الصوتيان ؛ ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعاً من الخفيف يسمع فى أقصى الحلق أو داخل المزمار ويتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع الذى يتخذه عند النطق بأصوات اللين . والهاء عادة صوت مهموس يجهر به فى بعض الظروف اللغوية الخاصة . وفى هذه الحالة يتحرك معها الوتران الصوتيان ، كما يسمع لهذه الهاء المجهورة نوع من الخفيف لولاه لكانت هذه الهاء صوت لين عادى .

وعند النطق بالهاء المجهورة يندفع من الرئتين كمية كبيرة من الهواء أكبر مما يندفع مع الأصوات الأخرى ، فيترتب عليه سماع صوت الخفيف مختلطاً بذبذبة الوترين الصوتيين .

الهمزة : رغم الاعتراف بها كصوت أساسى فى كثير من لغات العالم لم تحظ برمز خاص بها فى رسم تلك اللغات . ففى بعض اللهجات الإنجليزية ينطق بالتاء همزة . وفى اللغة الدنيمركية تفرق الهمزة كصوت لا كرمز ، بين الكلمتين فى المعنى ، فقد لا يكون هناك فرق صوتى بين كلمتين مختلفتى المعنى سوى وجود الهمزة فى نطق أحدهما مثل : « هَنا » التى تعنى « كلباً » ؟ « هَنا » التى تعنى الضمير « هى » . وكلا الكلمتين تكتبان على صورة واحدة ورموز واحدة رغم اختلاف نطقهما .

وشيوع الهمزة في اللغات السامية أكثر بكثير منها في الفصيلة الهندية الأوروبية .

والهمزة رغم شيوعها في اللغة العربية لم يرمز لها الرسم العربي القديم بمرز خاص ككل الأصوات الساكنة . ولتصرف القدماء في الهمزة بالتخفيف - إبدالاً ونقلاً وإدغاماً - وتسهيلها بين بين ، كتبت بحسب ما تخفف به . فأحياناً كتبت ألفاً وطوراً واواً أو ياء ، وثالثة لم يرمز لها بأى رمز . فالرمز الذى نعرفه الآن للهمزة حديث بالنسبة للرسم العثمانى .

أما مخرج الهمزة المحققة فهو من المزمارة نفسه ، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمارة انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق ، ثم تنفرج فتحة المزمارة فجأة فيسمع صوت انفجارى هو ما نعرفه بالهمزة .

فالهمزة إذن صوت شديد ، لاهو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمارة معها مغلقة إغلاقاً تاماً ، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمارة ، ذلك الانفراج الفجائى الذى ينتج الهمزة .

ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمارة انحباساً تاماً ثم انفراج المزمارة فجأة ، عملية تحتاج إلى جهد عضلى قد يزيد على ما يحتاج إليه أى صوت آخر ، مما يجعلنا نعد الهمزة أشد الأصوات ، وما جعل الهمزة أحكاماً مختلفة في كتب القراءات ليس هنا مجال تفصيلها .

وقد مالت اللهجات العربية في العصور الإسلامية إلى تخفيف الهمزة والفرار من نطقها محققة ، لما تحتاج إليه حينئذ من جهد عضلي . فالهمزة المشككة بالسكون تسقط من الكلام ويستعاض عن سقوطها بإطالة صوت اللين قبلها ، فينطق بعض القراء : « يومنون » في يؤمنون « ، « ذيب » في « ذئب » ، « راس » في « رأس » .

والهمزة المتحركة وقبلها متحرك ، متعددة الأحكام ، وقد فصلت أحكامها في المطولات من كتب القراءات : على أن الوسائل التي لجأ إليها القراء لتخفيف هذا النوع من الهمزة تتلخص في :

( ١ ) سقوطها من الكلام والاستعاضة عنها بإطالة صوت اللين قبلها . فنكأنها كالساكنة حينئذ . وأحياناً لا يعرض عن سقوطها بشيء كما في قراءة « مستهزون » في « مستهزون » .

( ٢ ) تسهيل الهمزة بين بين : هذا هو تعبير القدماء من القراء عن تلك الحالة الغامضة لنطق الهمزة . فقد قالوا إن تسهيل الهمزة المتحركة بأن ينطق بها ، لا محققة ، ولا حرف لين خالص بل بين بين . فالهمزة المكسورة ينطق بها في حالة تسهيلها بين بين ، لا محققة ، ولا ياء خالصة . هكذا قال القدماء من القراء . أما التكييف الصوتي لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفاً علمياً مؤكداً . وإذا صح النطق الذي سمعته من أفواه المعاصرين من القراء ، تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام ، تاركة حركة وراءها . فالذي نسمعه حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة بل هو صوت لين قصير يسمى عادة

حركة الهمزة ، من فتحة أو ضمة أو كسرة . ويترتب على هذا النطق  
التقاء صوتي لين قصيرين ، وهو ما يسميه المحدثون Hiatus . ويغلب  
في معظم اللغات أن تؤدي مثل هذه الحالة إلى صوت لين اتقالي ، ينشأ  
من الحركتين أو صوتي اللين القصيرين .

وإذا كانت الهمزة المفردة قد احتاجت إلى جهد عضلي جعل  
اللهجات العربية تفر منها بتسهيلها مرة ، وسقوطها مرة أخرى فما  
لا شك فيه أن توالي همتين أشق ويحتاج إلى جهد عضلي أكثر في  
نطقهما . لذلك أفردت كتب القراءات أبواباً لأحكام الهمزتين المتواليين  
يمكن الإشارة إليهما فيما يلي :

( ١ ) إذا كانت الهمزة الثانية مشككة بالسكون ، سقطت من الكلام  
واستعوض عنها بإطالة حركة الأولى مثل :

آمن . أودى . إيت .

( ٢ ) أما إذا تحركت الهمزتان ، فقد لجأ كثير من القراء إلى  
تخفيف ذلك الجهد العضلي في نطقهما بحقتين ، بأن نطق بهما بالهمزة  
الثانية مسهلة بين بين ، ولكن الآخرين أطالوا حركة الهمزة الأولى  
ليصير النطق بالثانية هيناً يسيراً . وهذه الحالة الأخيرة هي التي عبر عنها  
القديما بقولهم ادخال ألف بين الهمزتين .

## الفصل الخامس

(١)

### طول الصوت اللغوي

بما عني به المتحدثون في تجاربهم معرفة طول الصوت اللغوي ، سواء كان صوت لين أو صوتاً ساكناً . ونعني بطول الصوت الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا الصوت ، مقدراً عادة بجزء من الثانية . فقد قدروا أن « الديال » المتطرفة في الكلمات الانجليزية تستغرق في النطق بها حوالي ٠.٥ من الثانية ، في حين أن صوت اللين ( $\alpha$ ) يستغرق مدة أطول هي حوالي ٤٣ من الثانية .

ولطول الصوت أهمية خاصة في النطق باللغة نطقاً صحيحاً . فالإسراع بنطق الصوت ، أو الإبطاء به ، يترك في لهجة المتكلم أثراً أجنبيّاً عن اللغة ينفر منه أبنائها . وليس من الضروري أن يعرف المرء مقدار الزمن الذي يستغرقه نطق كل صوت ليصح نطقه ؛ بل إن المرء السامع يكفي عادة في ضبط هذا الطول دون حاجة إلى المقاييس الآلية .

وطول الصوت إما أن يكون طبيعياً فيه ، أو مكتسباً . ويعني هنا أولاً شرح الطول الطبيعي ، فأصوات اللين بطبيعتها أطول من الأصوات الساكنة . على أنه حين قيست أصوات اللين وجد أن الفتحة أطول من الكسرة والضممة . ويلى أصوات اللين في الطول الطبيعي الأصوات

الأنفية : وهى النون والميم ، فهما من أطول الأصوات الساكنة ، ثم الأصوات الجانبية كاللام ، ثم المكررة كالراء ؛ ثم الأصوات الرخوة ذات الصغير أو الخفيف .

وأقل الأصوات الساكنة طولاً هى الأصوات الشديدة أو الانفجارية . وأوضح ما يكون طول الصوت اللغوى فى أصوات اللين ، لأن الفروق فى طولها تؤثر تأثيراً كبيراً فى النطق الصحيح للغة . هذا إلى أن كل صوت لين فى لغة من اللغات يمكن أن يقسم ، من حيث الزمن الذى يستغرقه ، إلى نوعين : طويل وقصير . بل قد يكون من الممكن أن يقسم إلى ثلاثة أنواع متميزة : طويل ومتوسط وقصير . أما الأصوات الساكنة فالفرق بينها ليست من القدر بحيث تحتم علينا مثل هذا التقسيم .

واللغويون عادة يقسمون أصوات اللين إلى نوعين فقط : قصير ، وطويل . فالفتحة مطابقةً صوت لين قصير فإذا أصبحت ما يسمى بالآلف الممدودة فهى صوت لين طويل . والفرق عادة بين الفتحة الطويلة والقصيرة هو أن الزمن الذى تستغرقه الأولى ضعف ذلك الذى تستغرقه الثانية .

ومن حسن الحظ أن أصوات اللين العربية لا تختلف مقاييسها حين تطول ، كما يحدث فى كثير من أصوات اللين الانجليزية . فلا يؤثر طول الصوت العربى فى مقياسه ؛ بل يبقى هو هو طال الصوت أو قصر . أما العوامل المكتسبة التى تؤثر فى طول الصوت اللغوى فأهمها :

النبر (١) ، ونغمة الكلام ، وربما كان لتحو اللغة أثر أيضاً في طول الصوت أحياناً .

فالصوت المنبور أطول منه حين يسكون غير منبور . وانسيجام الكلام في نغماته يتطلب طول بعض الأصوات وقصر البعض الآخر ، إذ يميل الصوت المنبور إلى القصر إذا وليه صوت غير منبور ، وذلك تحقيقاً لرغبة الكلام في أن تتقارب مقاطعه المنبورة بعضها من بعض . فإذا كثرت المقاطع غير المنبورة بعد مقطع منبور ، قلت من طوله . فالآلف في كلمة « كتاب » أطول منها في العبارة « كتاب تليد » .

وقد عني القراء منذ القدم بإطالة بعض الأصوات الساكنة في اللغة العربية . وقد ظهر هذا جلياً في حديثهم عن استحكام النون والميم الساكنتين . فقد حاولوا أن يحولوا بين هذين الصوتين وفنائهما فيما بعدهما من الأصوات ، فأطالوا الميم حين يليها الياء وسحين تكون مشددة ، كما أطالوا النون مع خمسة عشر صوتاً هي التي عرفت بالأصوات التي تخفى معها النون . ومظهر هذه الإطالة فيما سماه القدماء بالفتنة إذ ليست الفتنة إلا إطالة في النون والميم كما فصلنا هذا في الكلام عن هذين الصوتين . فإذا كان بعد النون المشككة بالسكون ياء أو واو ، أصبح كل منهما صوتاً أقصياً ، وشددت الياء والواو ، ولسكنهما يصعبان في هذه الحالة أطول من أي صوت مشدد آخر ، لأن طولها هنا كطول النون المشددة . فالنون في مثل : « كنتم » أطول منها أضعافاً في « إن » هي .



« وكذلك الميم في مثل « يعتصم بالله » أطول منها أضعافاً في « وهم يوقنون » وكذلك الياء المشددة التي نتجت من إدغام النون فيها في نحو « من يعمل » أضعاف اللام المشددة في مثل « فإن لم » .

فما سماه القدماء بإخفاء النون والميم هو في الحقيقة إطالة لهذين الصوتين ، رغبة في الأبقاء عليهما ، ومنعهما من الفناء فيما يليهما من الأصوات ؛ كما شاع في كثير من اللهجات العربية قديمها وحديثها .

وكذلك حرص القدماء على جهر الأصوات الشديدة أمثال « الدال والباء » ، لما شاع في نطق بعض اللهجات العربية القديمة من ميل الناطقين بها إلى همس كل صوت شديد . فالصوت الشديد المجهور مال دائماً إلى أن يصبح مهموساً ، ولا سيما إذا كان مشكلاً بالسكون — متطرفاً أو في وسط الكلمة — وقد جاوره صوت مهموس . لهذا أطالوا الأصوات الشديدة المجهورة ليظهروا جهرها ، ويحولوا بينها وبين أن تصبح مهموسة ، ولا سيما إذا كانت مشكلاً بالسكون . وهذه الظاهرة هي التي سماها القدماء بالقلقلة . فقلقلة الباء المشكلة بالسكون ليست إلا إطالة لها مع إضافة صوت لين قصير جداً يشبه السكسرة . وأصوات القلقلة كما رواها القدماء هي :

القاف . الطاء . الباء . الجيم . الدال

والقاف والطاء اللتان رمى القدماء إلى قلقتهما ليستا القاف والطاء اللتين نسمعهما الآن في قراءة المقرئين في هذا العصر ؛ وإنما هما القاف والطاء كما كان ينطق بهما مجهورين . فالقاف كان ينطق بها كالغين ، والطاء كان

ينطق بها كالضاد الحديثة التي نسمعها الآن من قرائنا ، وقد أشرنا إلى هذا من قبل <sup>(١)</sup>

فالقاف والطاء الأصليتان هما صوتان مجهوران حرص القدماء على جهرهما ؛ ولكن رغم هذا الحرص قد تطورا إلى صوتين مهموسين في قراءاتنا الآن .

أما أصوات اللين العربية ، فطوراً تقصر ، وذلك مع الجزم كما في نحو [ ينام . يقوم . يبيع . يرضى . يسمو . يرمى ] حين يدخل على هذه الأفعال أداة جزم تصبح [ ينم . يقم . يبع . يرض . يسم . يرم ] فكل الذى أصابها هو أن صوت اللين الطويل أصبح قصيراً . وهذه الظاهرة مطردة في اللغة العربية ، تختمها قواعد اللغة .

وكذلك أباح القراء قصر صوت اللين في حالة الوقف ، بما سموه الروم . فبدلاً من الوقف بالسكون على أواخر الكلمات أباح القراء الوقف بنفس الحركة ، بعد تقصيرها إلى صوت لين قصير جداً لا يكاد يسمع إلا عن قرب . فالقراء يسمعون بالوقف على « نستعين » في [ إياك نعبد وإياك نستعين ] بضمة قصيرة جداً وسموا هذه الظاهرة الوقف مع الروم . وكما يكون الروم مع الضمة يكون أيضاً مع الكسرة والفتحة .

فتراتب الطول في أصوات اللين في اللغة العربية ثلاثة : أطولها في مثل « يسمو » ، يليها « لم يسم » ثم يلي هذا الوقف بالروم على مثل

« نستعين ». وليس الفرق بين هذه المراتب الثلاث إلا فرقا في الكمية. وأصوات اللين الطويلة في اللغة العربية قد يزداد طولها ضعفاً أو ضعفين حين يليها همزة أو صوت مدغم ، سواء كان هذا في كلمة واحدة وهو ما اصطلح القدماء على تسميته بالمد المتصل ، أو في كلمتين وهو المد المنفصل .

وقد عني القراء بهذه الإطالة عناية كبيرة ، أفردوا لها أبواباً وفصولاً في كتبهم ووضعوا لها مراتب متعددة ، قاسوها أحياناً بالآلاف ، وحيناً بالعدد على الأصابع ، ولكن يظهر أن نسبة هذه الإطالة كانت ولا زالت موضع خلاف بينهم ، كل منهم يحددها ويقيسها قياساً اجتهادياً . على أنهم جميعاً قد أجمعوا على الإطالة مع اختلاف في نسبتها . ومن الواجب أن تحدد هذه النسبة تحديداً علمياً ، أدق مما هو شائع الآن بين قرائنا . ولن يكون هذا إلا بتجارب حديثة تستخدم فيها آلات القياس الحديثة . ولعل بحوث المستقبل تكفل لنا هذا ، لأن طول الصوت اللغوي من أبرز الظواهر اللغوية التي يترتب عليها النطق الصحيح بهذه اللغة . فالقراء في مثل « يشاء » وفي مثل « ولا الضالين » قد يطيلون صوت اللين فوق طوله أضعافاً . وهذا النوع من الإطالة لا يراعى إلا في القراءات القرآنية ، فلا يكون في النثر العادي ولا في الشعر .

أما السر في هذه الإطالة فهو — كما يبدو لي — الحرص على صوت اللين وطوله ، لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الادغام . لأن الجمع بين

صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين ، إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حراً طليقاً وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة ، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكما يليه انفراجها فجأة . فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطى المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كبير ، وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين .

وهذا هو نفس السر في إطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم ، لأن طبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة حين يليها صوتان ساكنان . فحرصاً على صوت اللين ، وإبقاء على ما فيه من طول ، بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها وحديثها ، من ميل صوت اللين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان .

والصوت اللغوي قد يتأثر من حيث طوله بما يجاوره من الأصوات . وبما لاحظناه المحدثون أن صوت اللين يزداد طولاً إذا وليه صوت مجهور . فصوت اللين ( i ) في الكلمة الإنجليزية ( bid ) أطول منه في الكلمة ( bit ) وكذلك لاحظوا أن الصوت غير المجهور يكون أطول إذا سبقه صوت لين قصير ، والعكس بالعكس . فالتون في ( bin ) أطول منها في ( men ) ، والتون في ( man ) أقصر من الاثنين ، لأن صوت اللين ( a ) أطول من ( e ) وهذه أطول من ( i ) .

على أن بعض اللغات لا تتأثر أصواتها من حيث الطول بمجاورة بعضها لبعض ؛ بل لكل صوت مقياس محدود لا يتغير بمجاورة أنواع أخرى من الأصوات .

(٢)

## المقطع الصوتي

يحتاج الباحث إلى تقسيم الكلام المتصل إلى مقاطع صوتية ، عليها تبنى في بعض الأحيان الأوزان الشعرية ، وبها يعرف نسج الكلمة في لغة من اللغات .

والمقاطع الصوتية نوعان . متحرك ( open ) وساكن ( closed ) والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل . أما المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن . فالفعل الماضي الثلاثي مثل « فتح » يتكون من ثلاثة مقاطع متحركة ، في حين أن مصدر هذا الفعل « فتح » يتكون من مقطعين ساكنين .

وقد وجد المحدثون صعوبة في تحديد بدء المقطع ونهايته ، ولكنهم استطاعوا دائماً تحديد وسطه أو أظهر جزء فيه .

فالكلام المتصل يتكون من أصوات لغوية تختلف في نسبة وضوحها السمعي <sup>(١)</sup> . وترتب على هذه النسبة أن قسموا الأصوات إلى قسمين

---

(١) أنظر صفحة ٢٧

رئيسيين : هما الأصوات الساكنة وأصوات اللين . وقد اتضح لهم أن الأصوات الساكنة بطبيعتها ، أقل وضوحاً في السمع من أصوات اللين . على أن المحدثين قد لاحظوا أن اللام والنون والميم أصوات عالية النسبة في الوضوح السمعي ، وتشبه أصوات اللين في هذه الصفة ، مما جعلهم يسمونها أشباه أصوات اللين .

وقد شاهد المحدثون أنه في حالة تسجيل الذبذبات الصوتية للجملة من الجمل فوق لوح حساس ، يظهر أثر هذه الذبذبات في شكل خط متموج مثل :



ويتكون هذا الخط من قمم ووديان . وتلك القمم هي أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح السمعي ، والوديان هي أقل ما يصل إليه هذا الصوت من الوضوح . وأصوات اللين تحتل في معظم الأحيان ، تلك القمم ، تاركة الوديان للأصوات الساكنة . وقد وجد المحدثون أن اللام والنون والميم تحتل القمم في بعض الأحيان ، مثلها في هذا مثل أصوات اللين . ولهذا اعتبروا أصوات اللين ومعها اللام والنون والميم أصواتاً مقطعية ، لأنها هي التي تحدد المقاطع الصوتية في الكلام . وقسموا لهذا مقاطع الجملة حسب ما فيها من أصوات اللين ، وفي قليل من الأحيان يضطرون إلى عدد ما اشتملت عليه الجملة من لام أو نون أو ميم ، وإن كان احتلال هذه الأصوات الثلاثة ، لقمم الخط المتموج قليل الشيوع . وقد روى لنا أحد المحدثين جملة في اللغة التشيكوسلوفاكية لا تشتمل على صوت لين واحد . ولكن لندرة هذا في اللغات ، سنهمل هنا اعتبار

هذه الأصوات الساكنة من بين الأصوات المقطعية ، مكتفين دائماً بعد المقاطع في الكلمة أو الجملة حسب ما تشتمل عليه من أصوات لين .  
فإذا التقى في الكلام صوتا لين ، تكون منهما صوت واحد أقل وضوحاً في السمع ، ويخرج بهذا عن صفات أصوات اللين فيصبح صوتاً ساكناً أو شبيهاً بأصوات اللين . والتقاء صوتي لين ينتج لنا عادة أحد الصوتين الاتقاليين اللذين نسميهما « الواو » و « الياء » (١) .

ففي الكلمة الإنجليزية ( Creation ) لاعد صوتي اللين ( e و a ) صوتين مقطعين بل يتكون منهما عادة نوع من « الياء » .  
والتقاء صوتي لين أحدهما مقطعي والآخر غير مقطعي ، ينتج عادة ذلك الصوت المركب الذي يسمى ( Diphthong ) . وإذا كان المقطعي منهما أولاً سمي الـ ( Diphthong ) هابطاً ( falling ) وهو الشائع في اللغة الإنجليزية . وأما إذا كان غير المقطعي هو الأول ، سمي الـ ( Diphthong ) صاعداً ( Rising ) . وتشتمل اللغة العربية على النوعين ، فالهابط في مثل « يَدْت » والصاعد في مثل « يُسَر » . وقد مالت اللغة العربية في تطورها إلى التخلص من النوع الأول ، فقد انقلب في معظم اللهجات العربية الحديثة ، إلى صوت لين طويل ، كما في نطق المصريين الآن لسكمتي « بيت وحوض » .

واللغة العربية حين النطق بها تتميز فيها مجاميع من المقاطع ، تتكون كل مجموعة من عدة مقاطع ينضم بعضها إلى بعض ، وينسجم بعضها مع

بعض ، فهي وثيقة الاتصال . وبذلك ينقسم الكلام العربي الى تلك  
المجاميع من المقاطع . وكل مجموعة اصطلاح عادة على تسميتها بالكلمة .  
فالكلمة ليست في الحقيقة إلا جزءاً من الكلام ، تتكون عادة من مقطع  
واحد ، أو عدة مقاطع وثيقة الاتصال بعضها ببعض . ولا تكاد تنقسم  
في أثناء النطق بل تظل مميزة وانحجرة في السمع . ويساعد بلا شك على  
تمييز تلك المجاميع معانيها المستقلة في كل لغة ، غير أن الأذن الموسيقية  
تستطيع أن تقسم الكلام العربي بمجرد سماعه إلى مجاميع من المقاطع  
ولو لم يفهم المعنى . وفي الغالب تنطبق تلك المجاميع كما تسمعها الأذن  
الموسيقية على الكلمات . فاذا سمع امرؤ ذو أذن موسيقية جملة عربية  
لا يفهم معناها استطاع في غالب الأحيان أن يقسمها إلى مجاميع من  
المقاطع ، كل مجموعة هي في الحقيقة إحدى كلمات هذه الجملة .

غير أن بعض القراءات القرآنية أباحت ماسى بالإدغام الكبير  
في كلمتين مثل « لذهب بسمعهم » ؟ « يعذب من يشاء » ؟ « حيث شئتما » .  
وفي مثل هذه الحالة لايسهل التمييز بين حدود الكلمتين الا مراعاة  
المعنى ، اذ في بعض الأحيان تكون الكلمتان مجموعة واحدة من المقاطع  
أو تكونان مجموعتين لا تنطبقان على مقاطع الكلمتين حين نقرأهما  
بغير الإدغام ، فطوراً نجد المقطع الأخير من الكلمة الأولى أو جزءاً  
منه ينضم إلى مقاطع الكلمة الثانية ، وطوراً آخر نجد المقطع الأول  
من الكلمة الثانية ، أو جزءاً منه ينضم الى مقاطع الكلمة الأولى . وكذلك  
الحال في حالة التقاء همزتين في كلمتين مثل : « هؤلاء إن كنتم » . فما



يعرض لإحدى الهمزتين في بعض القراءات يجعل التمييز بين الكلمات عسيراً ، إلا إذا لوحظ المعنى .

وهذه القراءات رغم ورودها عن أئمة القراء أمثال « أبي عمرو » ليست من الشيوخ أو الذيوخ ، بحيث تجعلنا نقرر أن اللغة العربية لا تفرق في النطق بها بين مجاميع من المقاطع متميزة ، تنطبق دائماً على ما نسميه بالكلمات .

والكلمة العربية مهما اتصل بها من لواحق ( Suffixes ) أو سوابق ( prefixes ) لا تزيد عدد مقاطعها على سبعة . ففي كل من المثالين « فسيكفيكموهو » ، أو « أنلزمكموهما » مجموعة مكونة من سبعة مقاطع . على أن هذا النوع نادر في اللغة العربية ، وإنما السكثرة الغالبة من الكلام العربي تتسكون من مجاميع من المقاطع ، كل مجموعة لا تكاد تزيد على أربعة مقاطع . واللغة العربية تميل عادة في مقاطعها إلى المقاطع الساكنة وهي التي تنتهي بصوت ساكن . ويقل فيها توالي المقاطع المتحركة ، خصوصاً حين تشتمل على أصوات ابن قصيرة .

واللغات بصفة عامة تتباين في ميلها إلى نوع خاص من المقاطع . فمن لغات وسط أفريقيا<sup>(١)</sup> ما يفر من المقاطع الساكنة ، ويؤثر المتحركة عليها . ولكن اللغة العربية رغم إشارها المقاطع الساكنة قد اشتملت على النوعين الساكن والمتحرك .

وقد أشار النحاة من القدماء إلى ميل اللغة العربية إلى المقاطع

---

(١) أنظر صفحة ٥٦ من كتاب « لغات أفريقيا » مجموعة لغات البانتو

الساكنة ، حين قرروا استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة ، وكرهته فيما هو كالكلمة . ومعنى قولهم هذا كما يعبر عنه المحدثون أن اللسان العربي ينفر من توالي أربعة مقاطع متحركة فيما هو كالكلمة . ولسكنهم أباحوا توالي أربعة مقاطع ساكنة فيما هو كالكلمة إذ نقول « استفهمتم » .

وأنواع النسيج في المقاطع العربية خمسة فقط هي :

- (١) صوت ساكن + صوت لين قصير .
- (٢) صوت ساكن + صوت لين طويل .
- (٣) صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن .
- (٤) صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن .
- (٥) صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان .

ورغم أن أنواع النسيج الممكن تكونها من الأصوات الثلاثة « الصوت الساكن وصوت اللين القصير وصوت اللين الطويل » كثيرة جداً ، فإن كل ما عدا الأنواع السابقة لا يعد نسيجاً عربياً لمقاطع اللغة العربية . وتقتصر اللغات البشرية عادة على بعض أنواع النسيج الممكن تكونها من الأصوات الثلاثة .

ففي الفعل الماضي الثلاثي مثل « كتب » تتوالى ثلاثة مقاطع من النوع الأول . أما مضارعه « يكتب » فيتكون من مقطع من النوع الثالث مضافاً إليه مقاطعان من النوع الأول .

والفعل الماضي الاجوف مثل « قال » يتكون من مقطعين أولهما من

النوع الثاني وثانيهما من النوع الاول .

والانواع الثلاثة الاولى من المقاطع العربية هي الشائعة وهي التي تكون الكثر الغالبة من الكلام العربي . أما النوعان الاخيران أى الرابع والخامس فقليلا الشيوخ ، ولا يكونان إلا فى أواخر الكلمات وحين الوقف . فحين نقف على كلمة « نستعين » تتكون الكلمة حينئذ من ثلاثة مقاطع أولها مقطع من النوع الثالث ، وثانيهما من النوع الاول وثالثها من النوع الرابع . وكذلك حين نقف على كلمة « المستقر » فى قوله تعالى « إلى ربك يومئذ المستقر » ، تكون هذه الكلمة مكوّنة من أربعة مقاطع ، أولها وثانيها من النوع الثالث ، وثالثها من النوع الاول ، ورابعها من النوع الخامس .

وتوالى المقاطع من النوع الأول والثالث جائز مستساغ فى الكلام العربى ، وإن كانت اللغة العربية فى تطورها تميل إلى التخلص من توالى النوع الأول . أما توالى النوع الثانى فهو مقيد غير مألوف فى الكلام العربى . ولا يسمح الكلام العربى بتوالى أكثر من اثنين من هذا النوع .

وإذا نظرنا إلى الكلمات العربية ، الأسماء منها والأفعال ، نجد أن أوزان المشتق من الأسماء والأفعال محصورة ، أجمع عليها النحاة . وتلك هى التى سنحاول البحث فى مقاطعها هنا . أما أوزان الاسم الجامد فكثيرة جداً ، لا تكاد تقع تحت حصر ، ومن الخير ألا نعرض لها هنا .  
فالكلمة المشتقة فى اللغة العربية ، اسما كانت أو فعلا ، حين تكون

مجردة من اللواحق والسوابق ( كالضمائر وال المعرفة ) لا تزيد على أربعة مقاطع ، ويندر أن نجدها تتكون من خمسة مقاطع مثل « يتعلم » « يتسابق » . فنسج الكلمة الأولى من هذين المثالين هو :

مقطعان من النوع الأول + مقطع من النوع الثالث + مقطعان من النوع الأول .

أما نسج الكلمة الثانية فهو :

مقطعان من النوع الأول + مقطع من النوع الثاني + مقطعان من النوع الأول .

وكذلك الأسماء المشتقة من هذين الفعلين قد تتكون من خمسة مقاطع مثل « متعلم » و « متسابق » ، ولسكن لندرة هذا النوع من الكلمات سنفرض هنا أن كلمات اللغة العربية لا تزيد على أربعة مقاطع .

وحين نستعرض نسج الكلمات العربية ذات الثلاثة أو الأربعة مقاطع ، نجد أشكال النسج قليلة ، إذا قيست بما يمكن أن يتكون من تلك المقاطع العربية التي أشرنا إليه آنفا .

والنوع الرابع والخامس من المقاطع في اللغة العربية محدود لا نراه إلا متطرفا ، وفي بعض حالات الوقف ، أما الأنواع الثلاثة الأولى فهي التي يتكون منها نسج الكلمة العربية في الكلام المتصل . وقد تقع تلك الأنواع الثلاثة في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها . فليس منها ما يختص بموضع ما من الكلمة .

وإذا نظرنا إلى الكلمات العربية التي تكونت فعلا من تلك المقاطع الثلاثة الأولى ، وجدنا أشكال نسجها محدودة . لأن أشكال النسج

التي يمكن أن تتكون للكلمات ذات الثلاثة أو الأربعة المقاطع ، من الأنواع الثلاثة الأولى للمقاطع ، تجاوز المائة ، في حين أن المستعمل فعلا في اللغة لا يكاد يتجاوز ربع هذا العدد . إذ لدينا أنواع ثلاثة من المقاطع هي :

( ١ ) صوت ساكن + صوت لين قصير

( ٢ ) صوت ساكن + صوت لين طويل

( ٣ ) صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن

ومن هذه الأنواع الثلاثة يمكن أن نكون أشكالا مختلفة النسيج الكلمة العربية ، مراعين أن بعض الكلمات يشتمل على ثلاثة مقاطع والبعض الآخر ، يشتمل على أربعة . فعملية ريارضية بسيطة نستطيع أن نعرف الأشكال الممكنة لنسيج الكلمة . ولكن هناك فرقا بين ما هو عقلا ممكن وما هو واقعي نراه فعلا مستعملا في لغتنا . فقد يكون نسيج الكلمة العربية ذات المقاطع الثلاثة مثلا :

مقطع من النوع الثالث + مقطع من النوع الثاني + مقطع من النوع الأول .

والكلمات التي تتبع هذا النسيج كثيرة مثل [ يرتاع . يختار . يمتاز ] الخ كما قد يكون النسيج مثل :

مقطع من النوع الأول + مقطع من النوع الثاني + مقطع من النوع الثالث .

وكلمات هذا النسج أمثال [ منادٍ . معادٍ . محيطٌ ] الخ  
كذلك قد يكون النسج مثل :

مقطع من النوع الثاني + مقطعان من النوع الأول

وكلمات هذا النسج أمثال [ قاتلٌ . بايعٌ ] الخ .

أما الكلمات ذات المقاطع الأربعة ، فقد يكون نسجها مثلاً :

مقطع من النوع الأول + مقطع من النوع الثالث + مقطعان  
من النوع الأول .

وكلمات هذا النسج أمثال [ يفهمٌ . يقدمٌ يد حرجٌ ] الخ .

تلك هي أمثلة من أنواع النسج للكلمات العربية التي نراها  
مستعملة فعلاً .

ومعرفتنا لأنواع النسج المستعملة في اللغة ، يسهل علينا الحكم  
على نسج الكلمة العربية ، ونسج ما ليس بعربي من الكلمات . ويضيق  
المقام هنا عن ذكر كل أنواع النسج المستعملة فعلاً في اللغة العربية ؛  
ولكن استخراجها من كلمات اللغة أمر ليس بالعسير ؛ والمرء حين يعرفها  
يستطيع الحكم بمجرد النظر على أن مثل النسج التالي غير عربي :  
مقطع من النوع الثالث + مقطعان من النوع الثاني .  
وكذلك النسج الآتي غير عربي :

مقطع من النوع الثاني + مقطعان من النوع الثالث .

فالكلمات التي نراها على مثل هذين النسجين نحكم على أنها أجنبية عن لغتنا .

هذه هي أهمية معرفة نسيج الكلمة العربية ، لأن اللغات بصفة عامة تختلف اختلافاً بيناً في نسيج كلماتها .

وليس من نسيج المقاطع العربية هذا النوع :  
صوتان ساكنان + صوت لين قصير + صوت ساكن .  
فاذا اشتملت كلمة على مثل هذا المقطع ، أمكن الحكم بسهولة على أنها غير عربية . ونلاحظ هذا المقطع في مثل الكلمة الإنجليزية (Congratulation) ،  
في حين أن نسيج الكلمة الإنجليزية ( Dictation ) يوافق النسيج العربي  
في مثل « مرتاع » . مستاء » ، لأن مثل هذه الكلمات يتكون من المقاطع  
الآتية : مقطع من النوع الثالث + مقطع من النوع الثاني + مقطع  
من النوع الثالث .

( ٣ )

### النَّبر ( Stress )

النَّبر هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد . فعند النطق  
بمقطع منثور ، نلاحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط ؛ إذ  
تنشط عضلات الرئتين نشاطاً كبيراً ، كما تقوى حركات الوترين  
الصوتين ويقتربان أحدهما من الآخر ليسمحاً بتسرب أقل مقدار من  
الهواء ، فتعظم لذلك سعة الذبذبات ، ويترتب عليه أن يصبح الصوت  
عالياً واضحاً في السمع . هذا في حالة الأصوات المجهورة أما مع الأصوات  
المهموسة فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما

مع الصوت غير المنبور ؛ وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء .  
وكذلك يلاحظ مع الصوت المنبور نشاط في أعضاء النطق  
الأخرى ، كأقصى الحنك واللسان والشفيتين . ولكننا حين النطق  
بالصوت غير المنبور ، نلاحظ فتوراً في أعضاء النطق . فالمسافة بين  
الوترين الصوتيين مع المجهورات تتسع ، وبذلك يقل ضغط الهواء في  
أثناء تسربه ، وتقل سعة الذبذبات . كما نلاحظ أن تلك المسافة تزداد اتساعاً  
فوق اتساعها مع المهموسات ، وكذلك تفتقر باقى أعضاء النطق ، فلا  
يسد أقصى الحنك الفراغ الأنفى سداً محكماً ، كما يحدث فى الصوت المنبور .  
وكذلك نلاحظ أن الوضع اللسانى يكون أقل دقة وإحكاماً ، ويضعف  
نشاط الحركة فى الشفتين . ويترتب على كل هذا التحول فى عضلات  
النطق ، أن يقل وضوح الصوت فى السمع ، وينخفض الصوت فيصعب  
تمييزه من مسافة ، عندها يمكن تمييز الصوت المنبور .

والمرء حين ينطق بلفظه ، يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص  
من كل كلمة ، ليجعله بارزاً أوضح فى السمع من غيره من مقاطع الكلمة .  
وهذا الضغط هو الذى نسميه بالنبر .

واللغات تختلف عادة فى موضع النبر من الكلمة . ومنها ما يخضع  
لقانون خاص بموضع النبر فى كلماته كالعربية والفرنسية ، ومنها ما لا  
يكاد يخضع لقاعدة ما ، فى هذا ، كالانجليزية . فالفرنسى يضغط عادة  
على المقطع الأخير من كل كلمة .

ونطق اللغة لا يكون صحيحاً إلا إذا روعى فيه موضع النبر



فالفرنسي حين ينطق بالانجليزية يضغظ على المقاطع الأخيرة من الكلمات ، متأثراً بعاداته اللغوية ، فتتفر الأذن الانجليزية من نطقه الذي تشوبه لهجة أجنبية قد تؤدي إلى اضطراب في المعنى . لأن بعض الكلمات الانجليزية يختلف معناها بمجرد اختلاف موضع النبر فيها . فأمثال الكلمات الانجليزية augment , Torment لا فرق بينها حين تستعمل فعلاً أو اسماً ، إلا في اختلاف موضع النبر .

وليس لدينا من دليل يهديننا إلى موضع النبر في اللغة العربية ، كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى ، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء .

أما كما ينطق بها القراء الآن في مصر ، فلها قانون تختصص له ، ولا تكاد تشذ عنه . ويمكن أن يلخص هذا القانون في أنه لمعرفة موضع النبر من الكلمة العربية ، نبدأ أولاً بالنظر إلى المقطع الأخير ، فإذا وجدناه من النوع الرابع أو الخامس ، فهو إذن المقطع الهام الذي يحمل النبر ولا يكون هذا كما أشرت آنفاً إلا في حالة الوقف . فالنبر في الكلمة العربية لا يكون على المقطع الأخير إلا في حالة الوقف وسحين يكون المقطع الأخير من النوع الرابع أو الخامس ، أي عبارة عن :

صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن  
أو

صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان

ففي الوقف على « نستعين » في قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » أو

على « المستقر » في قوله تعالى « إلى ربك يومئذ المستقر » نجد النبر على المقطعين « عين » و « قر » .

أما إذا وجدنا الكلمة لا تنتهى بهذين النوعين من المقاطع ، كان النبر على المقطع الذى قبل الأخير ، بشرط ألا يكون هذا المقطع من النوع الأول ومسبوقا بمثله من النوع الأول أيضا .

وموضع النبر فى السكثرة الغالبة من الكلمات العربية هو المقطع الذى قبل الأخير مثل « استفهم » أو « ينادى » أو « قاتل » أو « يكتب » .  
ففى المثالين الأخيرين رغم أن المقطع الذى قبل الأخير من النوع الأول ، لم يسبق بمقطع نظير له من النوع الأول أيضا .

أما فى الفعل الماضى الثلاثى مثل « كتب . فرح . صعب » ، فالنبر يكون على المقطع الثالث حين تعد المقاطع من آخر الكلمة ، أى على [ ك . ف . ص ] . وكذلك فى الكلمات أمثال « اجتمع . انكسر » ، أو أمثال المصادر « لعب . فرح » ، أو الأسماء « عنب . بلح » ، نجد النبر على المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة .

وهناك موضع رابع للنبر العربى ، وإن كان نادرا ، وهو حين تكون المقاطع الثلاثة التى قبل الأخير فى الكلمة من النوع الأول ، مثل « بلحة » عربية . حركة . فى هذه الحالة يكون النبر على المقطع الرابع حين نعدّ مقاطع الكلمة من الآخر ، أى على [ ب . ع . ح ] .

فللنبر العربى أربعة مواضع أشهرها وأكثرها شيوعا المقطع الذى قبل الأخير . ويمكن أن نلخص تلك المواضع كما يلى :

لمعرفة موضع النبر في السكلمة العربية ، ينظر أولاً إلى المقطع الأخير ، فإذا كان من النوعين الرابع والخامس ، كان هو موضع النبر ، وإلا نظر إلى المقطع الذى قبل الأخير ، فإن كان من النوع الثانى أو الثالث ، حكمنا بأنه موضع النبر ، أما إذا كان من النوع الاول ، نظر إلى ما قبله فإن كان مثله أى من النوع الاول أيضاً ، كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعد من آخر السكلمة . ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر إلا فى حالة واحدة ، وهى أن تكون المقاطع الثلاثة التى قبل الأخير من النوع الاول .

هذه هى مواضع النبر العربى ، كما يلتزمها مجيدو القراءات القرآنية فى القاهرة .

أما مواضع النبر بين أبناء الأمم العربية الأخرى فقد تخضع لقوانين أخرى ، لا محل لذكرها هنا . فنحن نلاحظ بين أهالى الصعيد من يختلفون عن القاهريين فى موضع النبر أحياناً . فهم حتى فى قراءة القرآن الكريم يميلون إلى الضغط على المقطع الثالث حين نعد المقاطع من الآخر ، متى كان المقطع الذى قبل الأخير من النوع الاول . ويظهر الفرق بينهم وبين القاهريين فى نبر أمثال « ربنا . عملهم » ، إذ نلاحظ أن القاهريين ومعظم سكان الوجه البحرى يضغطون على ما قبل الأخير فى السكلمة الأولى أى على [ب] ويضغطون على «ع» فى السكلمة الثانية ، أما أهل الصعيد فيضغطون على المقطع [ر ب] فى السكلمة الأولى ، وعلى المقطع «م» فى السكلمة الثانية .

ولحسن الحظ لا تختلف معاني الكلمات العربية باختلاف موضع  
ذاتها منها .

هكذا هو ما يمكن أن يسمى بنبر الكلمات : وهناك نوع آخر من  
النبر يسمى نبر الجمل ، وهو أن يعتمد المتكلم إلى كلمة في جملة فيزيد من  
نبرها ، ويميزها على غيرها من كلمات الجملة ، رغبة منه في تأكيدها أو  
الإشارة إلى غرض خاص . وقد يختلف الغرض من الجملة تبعاً  
لاختلاف الكلمة المختصة بزيادة نبرها . ونبر الجملة شائع في كثير من  
اللغات . ففي جملة عربية مثل [ هل سافر أخوك أمس ؟ ] يختلف  
الغرض منها باختلاف الكلمة التي زيد نبرها . فحين نزيد نبر كلمة «سافر»  
في هذه الجملة ، قد يكون معناها أن المتكلم يشك في حدوث السفر من  
أخى السامع ، بل يظن أن حدثاً آخر غير السفر هو الذي تم . فإذا  
ضغظ المتكلم على كلمة [أخوك] ، فهم من الجملة أن المتكلم لا يشك في  
حدوث السفر وإنما الذي يشك فيه هو فاعل السفر ، فربما كان أباه أو  
شقيقه أو صديقه لا أخته . وأخيراً إذا زيد نبر كلمة «أمس» فهم من الجملة  
أن الشك في تاريخ السفر .

وزيادة نبر الكلمة في الجملة ، لا يعد وأن يكون زيادة في نبر  
المقطع الهام في هذه الكلمة . ففي كلمة مثل [أخوك] ، نعلم من القواعد  
السابقة أن المقطع المنبور هو [خو] ، فإذا زيد نبر هذه الكلمة في جملة  
فليس المقصود بهذا سوى زيادة نبر هذا المقطع [خو] ، ليصبح أوضح  
في السمع بما كان .

والنبر بنوعيه ليس إلا شدة في الصوت أو ارتفاع فيه . وتلك الشدة أو الارتفاع يتوقف على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين ولا علاقة له بدرجة الصوت أو نغمته الموسيقية (١) .

— ٤ —

### موسيقى الكلام (Intonation)

برهنت التجارب الحديثة على أن الانسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية (١) واحدة في النطق بجميع الأصوات ، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات تختلف فيها . ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى ، إذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها . ومن أشهر هذه اللغات اللغة الصينية ، إذ قد تؤدي فيها الكلمة الواحدة عدة معان ، ويتوقف كل معنى من هذه المعاني على درجة الصوت حين النطق بالكلمة . ويمكن أن نسمي درجة الصوت بالنغمة الموسيقية . ففي اللغة الصينية كلمة [فان] ، تؤدي ستة معانٍ لاعلاقة بينها هي : [نوم . يحرق . شجاع . واجب . يقسم . مستحق] ، وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة .

والسلسلة الذي نلاحظه في درجة الصوت ، يخضع لنظام خاص يختلف من لغة إلى أخرى . ولا بد من معرفة هذا النظام في اللغة التي

يراد تعلمها ، وإلا فقد الكلام صبغته الخاصة ، وبعد عن النطق الطبيعي الخاص بكل لغة .

والبحث عن نظام درجة الصوت وتسلسله في الكلام العربي ، يحتاج إلى عون خاص من الموسيقيين عندنا .

ولسوء الحظ حتى الآن لم يهتد موسيقيونا إلى السلم الموسيقي في غنائنا ، أو بعبارة أخرى لم يتفقوا عليه . لهذا نؤثر ترك الحديث عن موسيقى الكلام العربي إلى مجال آخر ، عسى أن تكفل لنا البحوث المستقبلية القيام بهذا .

## انتقال النبر

قد يطرأ على الكلمة من الأحكام اللغوية ما يستوجب انتقال النبر من موضعه إلى مقطع قبله ، أو آخر بعده من الكلمة .

فاشتقاق كلمة من أخرى قد يؤدي إلى تغير موضع النبر . فالفعل الماضي [كتب] يحمل النبر على المقطع [ك] فإذا جئنا بالمضارع [يكتب] ، لاحظنا أن النبر قد انتقل إلى المقطع الذي يليه وهو [ت] . وكذلك إذا اشتققنا من المصدر [انكسار] فعلا ماضياً مثل [انكسر] فلاحظ أن النبر ينتقل إلى المقطع الذي قبله ، لأنه في الكلمة الأولى على المقطع [سا] ، وفي الثانية على المقطع [ك] .

وقد يطرأ على الكلمة من العوامل اللغوية ما يستوجب أيضاً

لانتقال النبر من موضعه . ويلاحظ هذا بصفة خاصة مع أدوات الجزم  
فالنبر في الفعل [ يكتبُ ] على المقطع [ تْ ] فاذا جزم الفعل انتقل النبر  
إلى المقطع الذى قبله وهو [ يَكْ ] .

كذلك نلاحظ انتقال النبر حين يسند الفعل إلى الضمائر ؛ أوحين  
يتصل بالكلمة ضمائر النصب أو الجر ؛ على شريطة أن يغيّر كل هذا  
من نسج الكلمة الأصلية . فالنبر في الفعل الماضى [ كتب ] على المقطع  
[ كَ ] ؛ فاذا أسند إلى معظم ضمائر الرفع المتصلة ؛ انتقل إلى المقطع الذى  
يليه . ففى « كتبتُ » أو « كتبنا » نجد النبر فوق المقطع [ تبْ ] ؛ وليسكنه  
يبقى فى مكانه فى حالة الاسناد إلى واو الجماعة مثل [ كتبوا ] . وكذلك  
المصدر [ استفهامٌ ] إذا اتصل بالضمير « نا » فاصبح « استفهامنا » انتقل النبر  
من المقطع « ها » إلى المقطع « هم » .

ونلاحظ فى كل هذا أن انتقال النبر لا يتجاوز مقطعا واحدا . على  
أنه فى بعض الأحيان قد ينتقل النبر مقطعين ؛ ففى أسناد الفعل الماضى  
« سمع » إلى جماعة المخاطبات يصبح « سمعنَّ » ؛ فينتقل النبر من [ سَ ] إلى  
[ تنْ ] مجاوزا فى انتقاله مقطعين . ولا يكاد يجاوز النبر فى تنقله أكثر  
من مقطعين . والقاعدة التى نعرف بها موضع النبر والتى سبق شرحها  
هى فى كل الحالات مهما أصاب الكلمة من تغير فى نسجها .

## الفصل السادس

### المماثلة (Assimilation)

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام . فحين ينطق المرء بلغته نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه ، نلاحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر ، كما نلاحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضاً لهذا التأثير . على أن نسبة التأثير تختلف من صوت إلى آخر . فمن الأصوات ما هو سريع التأثير يندمج في غيره أكثر مما قد يطرأ على سواه من الأصوات . ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل ، هي السرفيا قد يصيب بعض الأصوات من تأثر .

والأصوات في تأثرها تمسندف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج . ويمكن أن يسمى هذا التأثير بلا نسجام الصوتي بين أصوات اللغة . وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة ، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه .

واللغة العربية . في تطورها إلى لهجات الكلمات الحديثة ، مالت ميلاً كبيراً إلى هذا التأثير ، إذ نلاحظ في اللهجات الحديثة ظواهر مختلفة



التأثر أصوات الكلام بعضها ببعض في أثناء النطق .

وقد تكون هذا في هذه اللهجات قوازين خاصة بتأثر الأصوات  
أرسلها إلى الانسجام مع ما يجاورها ، مما أدى إلى تطور في النطق ببعض  
أصوات اللغة الفصحى .

وقد فطن القراء منذ القدم لهذا ، وخشوا أن يصيب النطق القرآن  
شيئاً من التغيير الصوتي ، فعنوا بوصف كل صوت عربي وصفاً دقيقاً  
راستكروا ما شاع في لهجات الكلام من انحراف عن النطق الصحيح  
لصوت العربي .

فلحروهم على الأصوات الشديدة المجهورة ، التي تعرضت للهس  
لبعض اللهجات الكلامية ، سموها أصوات القلقلة ، وقلقلوها في  
لحظهم ليأمنوا بهذا من همسها . فالقلقلة ليست في الحقيقة إلا مبالغة  
لألجهر بالصوت ، لئلا تشوبه شائبة من همس كما شاع في لهجات  
كلام . ولسكن رغم هذا الحرص الشديد قد تطورت بعض أصوات  
قلقلة ، فأصبحت لا تسمع في قراءتنا الآن إلا مهموسة ومثل هذه  
القاف « و » الطاء (١)

والقراء في كتبهم قد حذروا المتعلمين من الزلل في النطق  
بالأصوات العربية ، وأبانوا لهم الأخطاء الشائعة في لهجات الكلام .

ومن ذلك ما نقرأه في كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزرى صفحة ٣٢٠ جزء أول ، إذ يحذر المتعلمين من تفخيم « الباء » إذا كان بعدها صوت مفخم نحو « بطل » . كما أشار إلى وجوب العناية بالتاء ، لأن بعض الناس ينطقون بها رخوة ، فتصير نوعاً من « السين » ، وإلى العناية بنطق الجيم لأن أهل الشام ينطقون بها شديدة التعطيش ، وفي مصر وبعض بوادي اليمن ينطق بها كمجهور الكاف (وهي الجيم القاهرية) . وكذلك تميل الجيم الساكنة إلى قلبها « شينا » إذا وليها صوت مهموس كما في « اجتمعوا » .

كما روى أن بعض النبط ينطقون بالذال « دالا » ، وبعض العجم ينطقون بها « زايا » . هذا إلى أن بعض الأعراب ينطقون بالقاف « كافا » صياء (١)

هذا بعض ما أورده ابن الجزرى ، محذراً منه المتعلمين ليجتنبوا ما شاع في لهجات الكلام من الانحراف في نطق بعض الأصوات العربية . ويستدل من هذه الاشارات أن بعض الأصوات العربية كان قد أصابها شيء من التطور في القرن الثامن الهجرى عصر ابن الجزرى ، بله العصور الحديثة التي ازداد فيها تطور الأصوات وتأثرها بعضها ببعض .

والمحدثون من علماء الأصوات اللغوية . قرروا أنه قد يتجاوز

( ١ ) لعله يريد بهذا كالجيم القاهرية .

صوتان لغويان ، ويتأثر الأول منهما بالثاني ، واصطلاحاً على تسمية هذا النوع من التأثير بالرجعي regressive .

وأحياناً يتأثر الصوت الثاني بالأول وسموا هذا بالتأثر التقدمي progressive .

فتأثر الاصوات المتجاورة بعضها ببعض نوعان :

رجعي : وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني . وهذا النوع كثير الشيوع في اللغة الفرنسية وفي العربية أيضاً .

تقدمي : وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول وهو الشائع في اللغة الانجليزية كما أنه قد يوجد أيضاً في اللغة العربية .

والإبدال القياسي الذي يشير إليه النحاة دائماً في صيغة « افتعل » حين تكون فاءها « دالا » ، أو « ذالا » ، أو « زايا » ، أو أحد أصوات الأطباق ، يتضمن نوعي التأثير الرجعي والتقدمي .

فصيغة « افتعل » من ( دعا . ذكر . زاد ) هي في الأصل ، ( ادّعى . اذّكر . اذّاد ) ، فاجتمع في كل من هذه المثل صوتان متجاوران : الأول منهما مجهور والثاني مهموس ، فتأثر الثاني بالأول وانقلب إلى صوت مجهور أيضاً ليجتمع صوتان مجهوران . ولأن التاء المهموسة حين يجهر بها تصير « دالا » ، أصبحت هذه المثل :

ادّعى . اذّكر . اذّاد .

وهذا تأثر تقدمي لأن الثاني تأثر بالأول . على أنه قد أصاب

الكلمتين الأخيرتين تطور آخر ، إذ صارتا في بعض الأحيان (اذّكر . ازّاد) ، ففي الصوت الثاني في الأول ونطق بهما صوتاً واحداً كالأول . وهذا التأثير تقدمي أيضاً . غير أن الشائع الكثير الاستعمال في « اذّكر » هو « اذّكر » ، أي أن الصوت الأول قد فنى في الصوت الثاني ( وبذلك صار التأثير رجعيّاً .

وكذلك حين تكون فاء « افعل » أحد أصوات الإطباق تجسد التأثير في معظم الأحيان تقديمياً ، وقد يكون رجعيّاً أيضاً .

فمثلاً حين نصوص « افعل » من « ظلم » ، تجسد الصيغة في الأصل « انظلم » ، وقد اجتمع في هذا المثال صوتان متجاوران ، الأول منهما مجهور مطبق ، وقد أثر في الثاني فجعله مجهوراً مطبقاً مثله . فوجب إذن أن تصبح التاء « ضاداً » كالتى نطق بها الآن . وهذه الضاد الحديثة هي التى سماها القدماء « طاء » (١) . فلا غرابة أن روى لنا القدماء هذه الصيغة بعد تأثرها « انظلم » ، ولعلهم كانوا ينطقون بها « انظلم » ، وهذا مثل آخر للتأثير التقدمي . ثم زاد هذا التأثير حتى فنى الصوت الثاني في الأول فصارت الكلمة « انظلم » . على أنه قد رويت الكلمة « انظلم » أيضاً ، أى أن الصوت الأول فنى في الثاني وهو تأثير رجعى . ولعل النطق الاصل لهذه الكلمة في وضعها الأخير كان في الحقيقة « انظلم » . ومثل هذا يمكن أن يقال حين نصوص « افعل » من « ضرب » ، إذ تصير

السكّلة أولاً « اضرب » ، فيؤثر الصوت الأول في الثاني ليصبح مثله  
بحوراً مطبقاً ، وبهذا يجتمع في السكّلة نوعان من الضاد : أولاً هما هي  
الضاد القديمة والثانية هي الضاد الحديثة التي كان يكتبها القدماء « طاء »  
أى « اضطرِب » . وقد يزداد تأثير الثاني بالأول فتصير السكّلة « اضرب » ،  
وهو تأثير تقدمي ، ولا يجوز غيره في هذه الصيغة . أما حين نصوص  
« افعل » من « صبر » ، فتجد الصيغة أولاً « اصبر » ، وقد اجتمع في  
هذه السكّلة صوتان مهموسان ، غير أن أحدهما مطبق والآخر مستقل  
فقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء الحديثة كما تنطق بها الآن ،  
ومن أجل هذا صارت السكّلة « اضطرِب » . ثم زاد تأثير الثاني بالأول  
فأصبحت السكّلة « اصبر » ، ولا يجوز فيها غير هذا .

## درجات التأثير

الاصوات المتجاورة تختلف في نسبة تأثيرها بعضها ببعض ، فقد  
لا يعدو التأثير أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر إلى الخف  
أو العكس . وأقصى ما يصل إليه الصوت في تأثيره بما يجاوره أن  
يفنى في الصوت المجاور ، فلا يترك له أثراً . وفناء الصوت في صوت  
آخر هو ما اضطلع القدماء على تسميته بالأدغام .

وتأثر الاصوات اللغوية بعضها ببعض ليس مقصوراً على  
الاصوات الساكنة ، بل قد يكون أيضاً في أصوات اللين ، غير أنا

هنا سنكتفى بشرح التأثير ونسبته في الاصوات الساكنة ، لوضوح التأثير فيها وضوحاً لا يدع مجالاً للشك .

ويمكن أن نقسم درجات التأثير ونسبته إلى الموضوعات الآتية :

### (١) الجهر والهمس :

إذا التقى صوت مهموس بصوت مجهور ، قلب أحدهما إلى نظير الآخر ، بحيث يتكون منهما صوتان مهموسان أو مجهوران . فحين نصوغ «افتعل» من فعل فاؤه صوت مجهور ، نلاحظ أن «تاء» افتعل المهموسة تقلب إلى نظيرها المجهور وهو الدال ؛ ليجتمع في الصيغة صوتان مجهوران . هذا هو السرّ فيما يحدث في الأفعال التي فاؤها [ دال . ذال . زاي ] حين نصوغ منها «افتعل» لأن كلا من [ الدال . الذال . الزاي ] صوت مجهور . وليس الأمر مقصوراً على الأفعال التي فاؤها [ دال . ذال . زاي ] ؛ بل إن القاعدة يمكن أن تطرد في كل فعل فاؤه صوت مجهور ؛ ولكن النحاة قصرها بحثهم على هذا النوع من الأفعال لشيوعها وكثرة دورانها في الكلام ، لأن صياغة افتعل من فعل فاؤه صوت مجهور غير هذه الأصوات الثلاثة المجهورة ( الدال . الذال . الزاي ) ، نادر لم يسمع في اللغة كثيراً . ولو أمكن أن نصوغ افتعل من فعل مثل «بعث» الذي يبدأ بصوت مجهور ، لكان من الجائز المقبول أن نرى نفس هذه الظاهرة . ولهذا ذكر النحاه في كتبهم أنه قد سمع في «اجتمع» و «اجتز» ؛ «اجدمع» و «اجدز» . لأن الجيم

لميت مجهور يناسبه مجهور مثله، فقلبت التاء دالا من أجل هذا في هذه الرواية رغم قلة شيوعها . غير أن اللغة العربية قد اشتملت على بعض كلمات صيغتها افتعل وفاء الفعل صوت مجهور ، ومع هذا لم يتم بها هذا التغير الصوتي مثل [ اجتمع . اغتصب . امتنع . ] . وهذا النوع من الأفعال قد أصابه في بعض لهجات الكلام نفس التطور الذي نحن بصددده .

## (٢) انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف وبالعكس :

الأصوات صنفان : منها ما يتخذ الهواء مجراه حين النطق بها خلال الفم وهي الأكثرية الغالبة في اللغة العربية ، ومنها ما يتخذ الهواء مجراه من الأنف كالنون والميم . وقد لاحظ المحدثون أن الصوت من النوع الأول قد ينتقل إلى نظيره من النوع الثاني ، تحت تأثير ظروف لغوية خاصة . فللنون نظائر بين أصوات الفم مثل الدال التاء . ولا فرق بين النون والدال إلا في أن الهواء يتخذ مجراه مع الأولى خلال الأنف ، ومع الثانية خلال الفم ، أما موضع اللسان النسبة للحنك الأعلى مع كل منهما ، فيكاد يتحد تمام الاتحاد . وكذلك الفرق بين الميم والباء إلا في أن الهواء مع الأولى يتسرب من الأنف مع الثانية من الفم ، وشكل الشفتين مع كل منهما واحد ، هذا إذا صرفنا النظر عن صفة الشدة في كل من الدال والباء ، وراعينا مخرج وحده .

وقد روى لنا هذا التأثير مطرداً في بعض أحكام القراءات ، مثل اجتماع الباء مع الميم في مثل « اركب معنا » ، فقد قلبت الباء ميماً ، أي أن صوت الفم « الباء » انتقل إلى نظيره من أصوات الأنف « الميم » ، كما اجتمعت النون واللام في « فإنا لم تفعلوا » ، وقلب صوت الأنف « النون » إلى أحد نظرائه من أصوات الفم « اللام » ، لأن كلا من النون واللام من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين كما تقدم شرح هذا (١)

### (٣) انتقال مخرج الصوت :

من أنواع التأثير التي قد تعرض لكثير من الأصوات أن ينتقل الصوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر ، فيستبدل به أقرب الأصوات إليه في هذا المخرج الجديد ، فإذا انتقلت التاء من مخرج متجهة نحو أقصى الحنك ، استبدل بها الكاف التي تتركها في الهمس والشدّة ، وقد روى النحاة أن « عصيت » أصبحت « عصيكا » في بعض اللهجات العربية القديمة .

كما إذا انتقل مخرج الكاف متجهاً نحو أصول الثنايا ، استبدل بها التاء . ونلاحظ هذا بصفة خاصة في بعض اللهجات العربية الحديثة يقول بعض المصريين : « استنجرية » بدلاً من « اسكندرية » ، فانتقل المخرج يبرر لنا قلب الكاف تاء أو العكس . وبما روى في أحكام القراءات موضعاً هذا ، ما أجمع القراء عليه من أن النون المشكك بالسكون إذا وليها « باء » ، تقلب ميماً مثل : « أنبئهم » ؟ « من بعد



توجود الباء في هذا النوع من الأمثلة استلزم انتقال النون من مخرجها إلى مخرج الباء ، وترتب على هذا الانتقال أن استبدل بالنون صوت نظير لها في المخرج الجديد ، وأقرب أصوات هذا المخرج الجديد إلى النون هو « الميم » لأن كلا منهما من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين ، ففضلا عن أن النون والميم صوتان أنفيان .

( ٤ ) تغير صفة الصوت مع الشدة إلى الرخاوة أو العكس :

ويصحب هذا التأثير عادة إدغام ، كما هو الحال في بعض القراءات ، كإدغام الدال في الذال أو التاء في التاء وسيأتى بيانه .

( ٥ ) الإدغام :

قد يترتب على تجاوز صوتين متجانسين أو متقاربين أن أحدهما يفنى في الآخر ، وهو ما اصطلح على تسميته في كتب القراءات بالإدغام . والإدغام يتم في بعض الأحيان بحدوث أكثر من نوع من أنواع التأثير السابقة ، والقراء عادة يقسمون الإدغام إلى إدغام ناقص ، فيه لا يتم فناء أحد الصوتين بل يترك الصوت بعد فنائه أثراً يشعر به ، كما هو الحال في الإدغام مع الغنة . والقراء يكادون يجمعون على أن هذا لا يكون إلا حين تلتقى النون المشككة بالسكون « بالياء » أو « الواو » مثل ( من يقول . من وال ) ، وقد تقدم شرح الغنة في مثل هذا (١) . فإذا لم نلاحظ أثراً للصوت بعد فنائه سموه إدغاماً كاملاً أو فناء كاملاً .

( ١ ) انظر صفحة ٦٤ .

والإدغام عند القراء نوعان : إدغام صغير وهو الشائع المروى عن جمهورهم ، وفيه يتحقق مجاورة الصوتين المتجانسين أو المتقاربين إذ لا فاصل بينهما ؛ وإدغام كبير وفيه يفصل بين الصوتين المتجانسين أو المتقاربين صوت لين قصير . وينسب هذا النوع الأخير من الإدغام إلى « أبي عمرو » ، أحد القراء السبعة .

والإدغام بنوعيه عبارة عن فناء الصوت الأول في الثاني ، بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كاللثاني ، وهو لهذا تأثير رجعي . وهو جائز الوقوع في كل صوت من أصوات اللغة العربية غير أنه نادر بين أصوات الحلق ، لأنها ليست بأصل للإدغام كما يقول ( المبرد ) في « المقتضب » . ولعل السر في إظهار النون ولام التعريف مع أصوات الحلق أن هذه الأصوات غير مستعدة بطبيعتها لفناء الأصوات فيها .

( ٣ )

### الأمثلة القرآنية الجائز فيها الإدغام

لم ترو لنا في القراءات أمثلة للإدغام في كل أصوات اللغة التي يحوز الإدغام فيها ، ولكن ما روى لنا يكفي لتكوين فكرة واضحة عما يبرر إدغام صوت في آخر في اللغة العربية .

والأمثلة القرآنية للإدغام ، حين نستعرضها صوتاً صوتاً ، باحثين عما يمكن أن يدغم فيه كل صوت ، نلاحظ أنها قد خلت من إدغام أصوات الحلق في مجانسها أو مقاربها ، إلا مثلاً واحداً أباح الإدغام

فيه كثير من القراء ، وهو إدغام الحاء في العين في قوله تعالى : « فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ <sup>(١)</sup> » . والقوانين الصوتية تبرر هذا الإدغام ، لأنه لا فرق بين الحاء والعين إلا في أن الأولى مهموسة والثانية نظيرها المجهور . كما قد خلت تلك الامثلة القرآنية من إدغام أصوات الإطباق في غيرها من الأصوات ، إلا مثلاً واحداً أباح إدغامه كثير من القراء ، وهو حين تلتقي الضاد مع الشين في قوله تعالى : « فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ <sup>(٢)</sup> » . على أن القراء قد اختلفوا حتى في رواية هذه الحالة المفردة . ولهذا لن نحاول تبرير إدغام الضاد في الشين من الناحية الصوتية ، لانا غير واثقين كل الثقة من النطق الاصل للضاد .

ويظهر أن السر في عدم ورود أمثلة قرآنية لأصوات الإطباق مدغمة في غيرها ، هو أن شيوع هذه الأصوات في اللغة قليل ، وقلة شيوع الصوت تجعله أقل تعرضاً لظاهرة الفناء في غيره . هذا إلى أن هذه الأصوات تحتاج إلى جهد عضلي كبير في النطق بها ، مما يستلزم أنه لا بد لفنائها من الكلام ، أن يمر الصوت في أكثر من مرحلة قبل الفناء في غيره ، مثل الانتقال من الاستعلاء إلى الاستفال ، أو من الشدة إلى

(١) سورة آل عمران « الآية ١٨٥ » .

(٢) سورة النور « الآية ٦٢ » .

الرخاوة ، أو من الجهر إلى الهمس ، أو نحو ذلك .  
 وما يستحق الذكر أن الامثلة القرآنية قد خلت أيضاً من ذكر  
 « الزاى » و « الشين » مدغمتين في غيرهما من الاصوات ؛ وليس لهذا  
 ما يبرره من الناحية الصوتية سوى مجرد المصادفة .  
 بقى إذن أن نستعرض الأصوات التى تدغم فى مجانسها أو مقاربها ،  
 كما رويت لنا فى الامثلة القرآنية ، وكتب القراءات .

## الباء

روت كتب القراءات أن هذا الصوت يحوز إدغامه فى الميم  
 والفاء ، مثل : « يَا بَنِي آدَمُ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ <sup>(١)</sup> » ومثل :  
 « وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ <sup>(٢)</sup> » .  
 أما إدغام الباء فى الميم فيبرره من الناحية الصوتية أن مخرج كل منهما  
 الشفتان ، وأنه لا فرق بين الباء والميم إلا فى أن الهواء مع الأولى يتخذ  
 مجراه من الفم ، ومع الثانية يتخذ مجراه من الأنف ، فعملية الإدغام هنا  
 هى مجرد انتقال الصوت الأول من بين أصوات الفم ، إلى نظيره بين  
 أصوات الأنف وقد سبق شرح هذا .

( ١ ) سورة هود « الآية ٤٢ » .

( ٢ ) سورة الرعد « الآية ٥ » .

وأما إدغام الباء في الفاء ، فأقل شيوعاً ، لأنه يستلزم أولاً قلب الباء وهي صوت مجهور ، إلى نظيرها المهموس وهو الصوت الشائع في اللغات الأوربية والذي يرمز إليه بالرمز ( P ) ، وهو صوت شديد انفجاري ، مخرجه الشفتان ، وإذا لم ينحبس معه النفس وأصابته صفة الرخاوة بأن يسمع له حفيف أو صفير ، انقلب إلى صوت قريب الشبه جداً بالفاء ، لأنها رخوة مهموسة ، وبهذا يتم الإدغام . فعملية الإدغام هنا تبدأ أولاً بهمس الباء لتشبه الفاء المهموسة ، ثم يلي هذا أن يسمح للهواء معها بالمرور ، بحيث يحدث حفيفاً أو صفيراً ككل الأصوات الرخوة . فاذا تم هذا للباء صارت كالفاء في كل الصفات ، مخرجاً وصفة ، وهو ما يبرر هذا النوع من الإدغام .

## التاء

يدغم هذا الصوت في عدة أصوات . وقد روت كتب القراءات أمثلة لكل حالة . فهي تدغم ادغاماً صغيراً في كل من الأصوات الآتية :  
( ١ ) « الماء » مثل قوله تعالى « أَلَّا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ <sup>(١)</sup> »  
وقد تم في هذا الإدغام عمليتان : الأولى أن نسمح للهواء مع التاء بالمرور لتصبح رخوة كالتاء ، والثانية أن مخرج الصوت الأول قد

---

( ١ ) سورة هود الآية ٩٥ .

انتقل إلى الأمام متجهاً نحو مخرج الأصوات اللثوية ، وبهذا ماثل  
الصوت الأول الصوت الثاني كل المماثلة فتم الإدغام .

(٢) « الجيم » مثل قوله تعالى : « كَلَّمَآ نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَنَاهُمْ  
جُلُودًا غَيْرَهَا <sup>(١)</sup> » . وفي هذا الموضع جهر أولاً بالتاء ، فصارت « دالا »  
ثم انتقل مخرج الدال من أصول الثنايا العليا إلى وسط الحنك ، وبهذا  
التقى بالجيم ، لأنها أقرب أصوات وسط الحنك إلى الدال في الصفة ؛  
وبهذا تم الإدغام .

(٣) « الظاء » مثل قوله تعالى : « وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَآ عَلَيْهِمْ  
شَحُومَهُمَا <sup>(٢)</sup> إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا <sup>(٣)</sup> » . وهنا جهرنا أولاً بالتاء فصارت  
دالا ، لأن الصوت الثاني أى الظاء صوت مجهور ، ثم سمح للهواء معها  
بالمرور فصارت رخوة ، ثم انتقل مخرجها إلى الأصوات اللثوية ، وبهذا  
صارت « ذالا » ، ولا فرق بين الدال والطاء إلا في أن الصوت الثاني  
من أصوات الإطباق . فالإدغام هنا له ما يبرره من الناحية الصوتية .

(٤) « السين » مثل قوله تعالى : « وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ <sup>(٣)</sup> » وكل الذي  
حدث في هذا الإدغام هو أن سمحنا للهواء بالمرور مع التاء ، فأصبحت

(١) سورة النساء « الآية ٥٦ » .

(٢) سورة الأنعام « الآية ١٤٦ » .

(٣) سورة يوسف « الآية ١٩ » .

رخوة ، وبهذا أشبهت كل المشابهة السين في رخاوتها وهمسها ،  
فتم الإدغام .

( ٥ ) « الصاد » مثل قوله تعالى : <sup>وَجَاءُوكُمْ</sup> <sup>حَصِرَتْ</sup> <sup>صُدُورُهُمْ</sup> (١) «  
أصاب التاء هنا ما أصابها في المثال السابق مع السين . فحين سمح للهواء  
معها بالمرور وصارت رخوة ، أشبهت السين كل المشابهة . وليس هناك  
فرق بين السين والصاد ، إلا في أن الثانية مطبقة . وهكذا تم الإدغام  
بين التاء والصاد .

( ٦ ) « الزاي » مثل قوله تعالى : <sup>مَأْوَاهُمْ</sup> <sup>جَهَنَّمَ</sup> <sup>كَلَّمَا</sup> <sup>خَبِتْ</sup> <sup>زِدْنَاهُمْ</sup>  
سَعيراً . وهنا جهر بالتاء أولاً ، فصارت « دالا » ، لأن الزاي مجهورة  
ثم سمح للهواء معها بالمرور ، فأصبحت رخوة تحدث عند النطق بها  
صغيراً كالزاي ، وبذلك جاز إدغامها في هذا الموضع .  
وتدغم التاء إدغاما كبيراً في الأصوات الآتية :

( ١ ) « الذال » مثل قوله تعالى « <sup>إِنَّ</sup> <sup>الْحَسَنَاتِ</sup> <sup>يُذْهِبْنَ</sup> <sup>السَّيِّئَاتِ</sup> »  
ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ (٣) . سقط أولاً صوت اللين الفاصل بين التاء  
والذال ليتم تجاوز الصوتين — وكذلك يجب أن يحدث مثل هذا في كل

( ١ ) سورة النساء « الآية ٩٠ » .

( ٢ ) سورة الإسراء « الآية ٩٧ » .

( ٣ ) سورة هود « الآية ١١٤ » .

إدغام كبير - ثم انتقلت التاء بمخرجها إلى مخرج الأصوات اللثوية ، مع السماح للهواء بالمرور حين النطق بها لتصبح رخوة كالذال ، وبذلك تمت المماثلة بين التاء والذال وأدغمت الأولى في الثانية .

( ٢ ) « الشين » مثل قوله تعالى : « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ

لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً <sup>(١)</sup> » . الإدغام هنا نادر يصعب أن تبرره القوانين الصوتية كما يراها المحدثون ، لأن سقوط صوت اللين من تاء « أربعة » يقلب التاء هاء . فإذا سمحنا عند النطق بها وهي مشكلة بالسكون أن تكون تاء ، كما يحدث في بعض اللهجات العربية الحديثة ، أمكن أن نفسر إدغام التاء في الشين . ويظهر أن من أدغموا في هذا الموضع قد زاعوا هذا ، ولعل من اللهجات العربية القديمة ما نطق بالتاء المربوطة حين تشكل بالسكون تاء . والذي يمكن أن يكون قد حدث للتاء في هذا الإدغام أن مخرجها انتقل إلى وسط الحنك ، مع السماح للهواء بالمرور حين النطق بها لتصير رخوة كالشين . وبهذا اتحد الصوتان همساً ورخاوة ومخرجاً فتم الإدغام .

( ٣ ) « الضاد » مثل قوله تعالى : « وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا <sup>(٢)</sup> » .

ويظهر أن هذا الإدغام قد تم بعد أن تطور النطق بالضاد ، فأصبحت

( ١ ) سورة النور « الآية ٤ » .

( ٢ ) سورة العاديات « الآية الأولى » .



كما ينطق بها الآن أى الصوت المطبق للدال<sup>(١)</sup>. وعلى هذا فقد جهر بالتاء أولا فأصبحت دالا. ولا فرق بين الدال والضاد الحديثة إلا فى أن الثانية مطبقة. وهكذا يتم الادغام فى هذا المثال الذى لم يرو غيره فى القرآن الكريم.

(٤) « الطاء » مثل قوله تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَا أَجْرُهُمْ »<sup>(٢)</sup>. وفى هذا الموضع إذا افترضنا أن النطق بالطاء هنا هو النطق القديم ، أى ما يشبه الضاد الحديثة ، كان الادغام فى هذا المثال كالادغام فى المثال السابق . أما إذا افترضنا أن الطاء هنا ، كان ينطق بها وقت الادغام كما ينطق بالطاء الآن ، أى مهموسة ، فلا فرق إذن بينها وبين التاء إلا فى الاطباق ، وهكذا يتم الادغام.

## الشاء

تدغم الشاء إدغاما صغيرا فى الأصوات الآتية :

(١) « النزال » مثل قوله تعالى : « فَشَلَّه<sup>ش</sup> كَشَلَّ<sup>ك</sup> الْكَلْبُ<sup>ل</sup> إِنْ تَحْمِلْ<sup>ح</sup> عَلَيْهِ<sup>ه</sup> يَلْهَثْ<sup>ل</sup> أَوْ تَتْرَكْهُ<sup>ر</sup> يَلْهَثْ<sup>ل</sup> ذَلِكَ<sup>ذ</sup> مِثْلُ الْقَوْمِ<sup>ق</sup> الَّذِينَ كَذَبُوا<sup>ز</sup> بآيَاتِنَا<sup>أ</sup> »<sup>(٣)</sup>

(١) انظر صفحة ٥١ .

(٢) سورة الرعد « الآية ٢٩ » .

(٣) سورة الاعراف « الآية ١٧٦ » .

وهو المثل الوحيد في القرآن الكريم . والادغام هنا واضح جلي ، لأنه لا فرق بين التاء والذال إلا في أن الأولى مهموسة والثانية نظيرها المجهور . فمضى جهر بالتاء أصبحت « ذالا » ، وبذلك يكون الإدغام بين صوتين متماثلين كل المماثلة .

( ٢ ) « التاء » مثل قوله تعالى : « قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ <sup>(١)</sup> »  
وهنا انتقل مخرج « التاء » إلى الأصوات اللثوية ، مع السماح للهواء بالمرور معها لتصبح رخوة بعد أن كانت شديدة ، وبذلك يتحد الصوتان في الرخاوة والمخرج والهمس فيتم الإدغام .  
وتدغم إدغاماً كبيراً في الأصوات الآتية :

( ١ ) « السين » مثل قوله تعالى « وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ <sup>(٢)</sup> » . وكل الذى حدث فى هذا الإدغام أن التاء انتقل مخرجها قليلاً إلى الورا ، فصادف مخرج أصوات الصفير ، وبذلك اتحدت مع السين فى الهمس والرخاوة فجاز الإدغام .

( ٢ ) « السين » مثل قوله تعالى : « فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْنَا <sup>(٣)</sup> » .

( ١ ) سورة الكهف « الآية ١٩ » .

( ٢ ) سورة النمل « الآية ١٦ » .

( ٣ ) سورة الاعراف « الآية ١٩ » .

انتقل مخرج الثاء إلى وسط الحنك، فشابهت الشين في الهمس والرخاوة وبذلك تم الادغام .

(٢) « الضاد » مثل قوله تعالى « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ

الْمُكْرَمِينَ . » (١) لا بد هنا من عمليتين : جهر الثاء لتصبح « ذالا » لأن الضاد صوت مجهور ، ولا بد أيضاً من انحباس النفس معها لتصبح صوتاً شديداً انفجارياً ، مع انتقال في المخرج لتقرب من الضاد ، ويتم الادغام .

## الجيم

تدغم الجيم في صوتين ادغاماً كبيراً :

(١) « الصين » مثل قوله تعالى : « ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ

فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ » (٢) . ويتم الإدغام في هذا الموضع بأن تفقد الجيم جهرها ، ثم تزداد رخاوتها ، وبذلك تماثل الشين في المخرج والهمس والرخاوة .

(٢) « التاء » مثل قوله تعالى : « مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرَجُ

الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ » (٣) . وهنا يجب همس الجيم أولاً ، لأن التاء

(١) سورة الذاريات « الآية ٢٤ » .

(٢) سورة الفتح « الآية ٢٩ » .

(٣) سورة المعارج « الآية الثالثة والرابعة » .

صوت مهموس ، ثم ينتقل مخرجها نحو الثنايا ، مع انحباس النفس  
انحباساً كاملاً لتصبح في شدة التاء ، وهكذا يتم الإدغام .

## الدال

تدغم الدال إدغاماً صغيراً في الأصوات الآتية :

(١) الزال : مثل قوله تعالى : « وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

الْجِنِّ وَالْإِنسِ (١) » . وهنا لا بد من انتقال مخرج الدال إلى الأصوات  
الثبوتية ، ثم السماح للهواء بالمرور في حالة النطق بها ، لتصبح رخوة  
كالذال ، وهكذا يتم الإدغام .

(٢) الظاء : مثل قوله تعالى : « وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ

نَفْسَهُ (٢) » . إذا جاز إدغام الدال في الذال كما في المثال السابق ، جاز  
إدغامها أيضاً في الظاء ، لأنه لا فرق بين الذال والظاء إلا في الإطباق .

(٣) المضاد : مثل قوله تعالى : « قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (٣) » .

إذا افترضنا أن النطق بالمضاد في هذا المثال هو النطق القديم

(١) سورة الأعراف « الآية ١٧٩ » .

(٢) سورة البقرة « الآية ٢٣١ » .

(٣) سورة النساء « الآية ١٦٧ » .

كان الإدغام هنا كالإدغام في المثال السابق ، أو بعبارة أدق أشبهه شبيهاً كبيراً . أما على افتراض أن نطق الضاد هنا كالنطق بالحديث لها ، فليس هناك حينئذ فرق بين الدال والضاد إلا في الاطباق .

( ٤ ) الجيم : مثل قوله تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ <sup>١</sup> » .

ينتقل مخرج الدال إلى وسط الحنك ، مع السماح قليلاً بمرور الهواء ، وبذلك تقل شدتها فتشبه الجيم ، وهكذا يتم الإدغام .

( ٥ ) السين : مثل قوله تعالى « قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا <sup>٢</sup> » . الإدغام هنا

كالإدغام في المثال السابق ، غير أن الدال هنا يجب همسها ، لأن الشين صوت مهموس .

( ٦ ) السين : مثل قوله تعالى : « قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ <sup>٣</sup> » .

لا بد هنا من همس الدال والسماح للهواء معها بالمرور لتصبح رخوة ، وبذلك تماثل السين في الهمس والرخوة .

( ٧ ) الزاي : مثل قوله تعالى : « وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ <sup>٤</sup> » .

لجواز الإدغام هنا يجب أن يسمح للهواء بالمرور مع الدال لتصبح رخوة ، وهكذا تشبه الزاي في المخرج والرخوة والجهر .

( ١ ) سورة التوبة ( الآية ١٢٨ ) .

( ٢ ) سورة يوسف « الآية ٣ » .

( ٣ ) سورة المائدة « الآية ١٠٢ » .

( ٤ ) سورة الملك « الآية ٥ » .

(٨) الصاد : مثل قوله تعالى : « وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا

الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ <sup>(١)</sup> » . إدغام الدال هنا كادغامها في السين ، لأنه لا فرق بين السين والصاد إلا في الاطباق .

(٩) الماء : مثل قوله تعالى : « وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا <sup>(٢)</sup> » لا بد

لا بد هنا من همس الدال ، وجعلها رخوة ، مع الانتقال بمخرجها إلى الأصوات اللثوية .

## الذال

تدغم الذال ادغاماً صغيراً في الأصوات الآتية :

(١) القاء : مثل قوله تعالى : « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ

لَأَزِيدَنَّكُمْ <sup>(٣)</sup> » . ينتقل مخرج الذال إلى الورااء قليلاً ، ثم ينطق بها مهموسة شديدة ، وهكذا يتم الإدغام .

(٢) المدال : مثل قوله تعالى : « وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ <sup>(٤)</sup> » .

الإدغام هنا كالإدغام في المثال السابق ، غير أن الذال هنا تحتفظ

(١) سورة الإسراء « الآية ٨٩ » .

(٢) سورة آل عمران « الآية ١٤٥ » .

(٣) سورة إبراهيم « الآية ٥ » .

(٤) سورة الكهف « الآية ٣٩ » .

بجهرها لأن الدال مجهورة .

(٣) الجيم : مثل قوله تعالى : « إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » (١) .

ينتقل مخرج الذال إلى وسط الحنك ، فتشبه الجيم لأن أقرب أصوات وسط الحنك إلى الذال هي الجيم ، فكلاهما مجهور وإن كانت الجيم أكثر شدة .

(٤) السين : مثل قوله تعالى : « لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ (٢) » . همس

الذال أولاً ، ثم ينتقل مخرجها قليلاً إلى الراء لتشبه السين همساً ورخاوة .

(٥) الزاي : مثل قوله تعالى « وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ (٣) » .

الإدغام هنا كالإدغام في المثال السابق ، غير أن الذال تحتفظ بجهرها .

(٦) الصاد : مثل قوله تعالى : « وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ

الْجِنِّ (٤) » . الإدغام هنا كالإدغام مع السين ، لأنه لا فرق بين السين والصاد إلا في الإطباق .

## الراء

لا تدغم الراء في الأمثلة القرآنية إلا في اللام ، مثل قوله تعالى :

(١) سورة الصافات « الآية ٨٤ » .

(٢) سورة النور « الآية ١٢ » .

(٣) سورة الأنفال « الآية ٤٨ » .

(٤) سورة الأحقاف « الآية ٢٩ » .

« قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » (١) .  
والذى يبرر هذا الإدغام هو قرب المخرج مع اتحاد في الصفة ، لأن كلا  
منهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ، ولا يكاد يسمع للراء  
خفيف ، مثلها في ذلك مثل أشباه أصوات اللين التي منها اللام . هذا إلى  
أن الراء في نظر المحدثين من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ،  
فهى لهذا تشبه اللام والنون والميم التي تعتبر حلقة وسطى بين أصوات  
اللين والأصوات الساكنة وكل الذى يتطلبه إدغام الراء في اللام هو  
ترك التكرار المختصة به الراء .

## السين

تدغم السين ادغاماً كبيراً فى صوتين هما الزاى والشين :

(١) الزاى : مثل قوله تعالى : « وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ » (٢) .

وهو إدغام واضح جلى ، إذ لا فرق بين السين والزاى إلا فى أن الأولى  
مهموسة وتظهرها المجهور هو الزاى .

(٢) الشين : مثل قوله تعالى : « وَاشْتَعلَ الرَّأسُ شَيْباً » (٣) . يتم

(١) سورة آل عمران « الآية ٣١ » .

(٢) سورة التكويد « الآية ٧ » .

(٣) سورة مريم « الآية ٤ » .



الإدغام هنا بانتقال مخرج السين إلى وسط الحنك ، وبهذا تشبه الشين همساً ورخاوة .

## الفاء

تدغم في صوت واحد هو الباء ، في مثل واحد في القرآن الكريم وهو : « إِنَّ نَاشِئَةَ نَحْسِيفٍ بِهِمُ الْأَرْضُ »<sup>(١)</sup> . ولم يرو الإدغام هنا إلا عن السكسائي ، في حين أن باقي القراء أظهروها . ولتبرير هذا الإدغام يمكن أن يقال إن الفاء جهر بها أولاً ، فأصبحت ذلك الصوت الشائع في اللغات الأوربية والذي يرمز إليه بالرمز ( v ) ، ومثل هذا الصوت إذا ذهب رخاوة بانحباس الهواء معه ليصبح انفجارياً ، أشبه الباء كل الشبه ، وبهذا يمكن الإدغام .

## القاف

تدغم ادغاماً كبيراً في صوت واحد وهو الكاف ، مثل قوله تعالى : « وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً »<sup>(٢)</sup> . لأن القاف ، كما ينطق بها الآن ، لا فرق بينها وبين الكاف إلا في أن القاف أعمق قليلاً في أقصى الحنك .

---

( ١ ) سورة سبأ « الآية ٩ » .

( ٢ ) سورة نوح « الآية ١٤ » .

## الكاف

تدغم إدغاماً كبيراً في صوت واحد وهو القاف ، مثل قوله تعالى :  
« وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلِمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ <sup>١</sup> » .  
وقد اشترط القراء في إدغام القاف في الكاف ، أو العكس ، أن  
يكون قبل الصوت المدغم متحرك .

## اللام

هذا الصوت لكثرة شيوعه في اللغة العربية ، طراً عليه ما لم يطرأ  
على غيره من الأصوات الساكنة ، إذ نلاحظ سرعة تأثره بما يجاوره من  
الأصوات ، وميله إلى الفناء في معظم أصوات اللغة . فلام التعريف  
كما يقول « المبرد » في « المقتضب » ، تدغم في ثلاثة عشر صوتاً ، ولا  
يجوز في اللام معهن إلا الإدغام ، فإن كانت اللام غير لام المعرفة جاز  
إدغامها في جميع هذه الأصوات الثلاثة عشر ، وكان في بعض أحسن  
منه في البعض الآخر .

وقد رويت لنا اللام التي ليست للتعريف مدغمة ، في الأمثلة القرآنية  
في عشرة أصوات فقط هي :

الراء . التاء . الشاء . الزاي . السين . الضاد . الطاء .

---

( ١ ) سورة البقرة « الآية ٣٠ » .

الظاء . النون . الذال .

وأما في القرآن الكريم هي على الترتيب :

- (١) « قَالُوا يَالْوَيْلَ إِنَّا رَسُولٌ رَبِّكَ لَنَ يَصِلُوا إِلَيْكَ (١) » والإدغام هنا إدغام كبير ، يشترط فيه أن يكون ما قبل الصوت المدغم متحركا .
- (٢) « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ (٢) »
- (٣) « هَلْ تُؤْتُونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣) »
- (٤) « بَلْ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ (٤) »
- (٥) « بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً (٥) »
- (٦) « بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ (٦) »
- (٧) « بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ (٧) »

- 
- (١) سورة هود « الآية ٨١ » .
  - (٢) سورة المائدة « الآية ٥٩ » .
  - (٣) سورة المطففين « الآية ٣٦ » .
  - (٤) سورة الرعد « الآية ٣٣ » .
  - (٥) سورة يوسف « الآية ٨٣ » .
  - (٦) سورة الأحقاف « الآية ٢٨ » .
  - (٧) سورة النساء « الآية ١٥٥ » .

(٨) « بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا <sup>(١)</sup> » .

(٩) « بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ <sup>(٢)</sup> » .

(١٠) « وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ <sup>(٣)</sup> » .

والذى يبرر إدغام اللام فى كل هذه الأصوات ، أن اللام أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً فى اللغة العربية ، لأن نسبة شيوعها حوالى ١٢٧ مرة فى كل ألف من الأصوات الساكنة . ولا شك أن الأصوات التى يشيع تداولها فى الاستعمال تكون أكثر تعرضاً للتطور اللغوى من غيرها . هذا إلى أن جميع الأصوات التى تدغم فيها اللام تندرج تحت تلك المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة الخارج التى سبق شرحها ماعدا الشين ، ولهذا يعد إدغام لام التعريف فى الشين أمراً غريباً ، قد يبرره أن الشين أقرب أصوات الحنك للمجموعة الكبرى التى سبقت الإشارة إليها .

(١) سورة الفتح « الآية ١٢ » .

(٢) سورة الأنبياء « الآية ١٨ » .

(٣) سورة آل عمران « الآية ٢٨ » .

## الفصل السابع

(١)

### التطور التاريخي للأصوات

اتضح لنا فيما سبق أن الضاد والقاف والطاء<sup>(١)</sup>، كما وصفت لنا في كتب القراءات، قد أصابها بعض التطور، حتى صارت إلى النطق الحديث الشائع بين قرائنا الآن. فقد انتقل مخرج الضاد إلى الدال، وأصبحنا الآن لا نفرق بين الدال والضاد إلا في الأطلاق. كما أن كلا من القاف والطاء القديمتين قد أصبح مهموساً في نطقنا الحديث، بعد أن كانتا مجهورتين. وهذا نوع من التطور التاريخي الذي قد يعرض للأصوات اللغوية.

هذا إلى أن أصواتاً أخرى من أصوات اللغة العربية قد أصابها نوع من التطور التاريخي، حتى صارت إلى النطق الحديث في لغة الكلام الآن. ويضيق المقام هنا عن استقصاء هذا في كل اللهجات العربية الحديثة، ولهذا نسكتفي بضرب الأمثال: فقد تطورت الجيم العربية إلى الجيم القاهرية، الخالية من التعطيش، أو الجيم الشامية الشديدة التعطيش. وليس لهذا ما يبرره سوى انتقال المخرج من مكانه في كلا الحالين.

---

(١) انظر صفحات ٥١، ٥٣، ٧٢.

مرة إلى الراء حتى أصبح من مخرج الكاف ، فكانت الجيم القاهرية التي هي صوت شديد مجهور ، نظيره المهموس هو الكاف ، وأخرى إلى الأمام حتى أصبح من مخرج الشين ، وتلك هي الجيم الشامية التي هي صوت مجهور نظيره المهموس هو الشين . وقد ازدادت الجيم في الحالة الأولى شدة وفي الثانية رخاوة .

كذلك ينطق بالذال العربية « دالا » في لغة الكلام المصرية ، وأحياناً زايًا . فما أصاب الذال في الحالين هو انتقال مخرجها قليلاً إلى الراء ، غير أنه في الحالة الأولى قد أصبحت صوتاً شديداً ، وفي الثانية قد احتفظت برخاوتها .

وتطورت « الثاء » في لغة الكلام المصرية « إلى تاء » في معظم الأحيان ، وإلى « سين » في قليل من المواضع . وقد انتقل مخرجها إلى الراء قليلاً في الحالين ، غير أنها أصبحت شديدة في حالة قلبها « دالا » واحتفظت برخاوتها في الحالة الثانية .

« والظاء » العربية ينطق بها أحياناً « ضاداً » ، وأحياناً « زايًا » مطبقة ، وقد احتفظت بالأطباق في الحالين ، وبالرخاوة في الحالة الثانية فقط . أما « القاف » فأحياناً نسمعها في اللهجات المصرية « همزة » ، وأخرى « جيم » كالجيم القاهرية خالية من التعطيش . ومن الصعب تفسير الظاهرة الأولى أي قلب « القاف » « همزة » ، ويظهر أن هذا التطور كان نتيجة انتقال القاف من مخرجها وتعمقها بين أصوات الحلق ، فاستبدل بها الهمزة التي هي أقرب أصوات الحلق شهياً بالقاف من حيث الشدة ،

لأن جميع أصوات الحلق ما عدا الهمزة أصوات رخوة .

أما قلب القاف « جيم » كالجيم القاهرية فهو مجرد انتقال في مخرجها قليلا إلى الأمام ، ولأن القاف في الأصل صوت مجهور استبدلها « الجيم » التي هي صوت مجهور . ويعدّ تطور القاف إلى « الجيم » من الأدلة على أن القاف كانت في الأصل القديم مجهورة كما سبقت الإشارة إلى هذا .

هذا وقد روى لنا النحاة ومؤلفو المعاجم كلمات متفرقة ، زعموا أن كلا منها ينطق بطريقتين مثل :

[ صراط = سراط ] . ومثل [ لعل = رعل ] . ومن العسير الحكم على الأصل في النطقين ، لنحاول تبرير هذا التطور الصوتي ، إلا أن نتخذ لهجة خاصة نجعلها هي الأصل الذي نقيس عليه ، أو ننسب إليه ، ولتسكن لهجة قریش مثلا . غير أن روايات النحاة ناقصة مبتورة ، يندر أن تنسب النطق الخاص لقبيلة ما ، بل تسكتفي في معظم الأحيان بالإشارة إلى أن من العرب من ينطق هكذا . لهذا لا نستطيع أن نميز الأصل من الفرع . وربما لم يكن هناك أصل ولا فرع ، بل إن الأصوات الواحد في بعض الكلمات نطق به نطقاً مختلفاً في بيئات مختلفة . وكل هذا مما يجب أن تعرض له البحوث المستقبلية في اللهجات العربية القديمة ، وفي تطور الأصوات العربية .

ولأبأس من ذكر بعض الأمثلة التي رواها النحاة وأصحاب المعاجم :

أمغرت الشاة = أنغرت . رفل = رفن .

أصيلا لا	=	أصيلا نا	.	اضطجع	=	الطجع
عصيكَا	=	عصيت	.	استخذ	=	اتخذ
لص	=	لصت	.	جذف	=	جدث
حنظل	=	حمظل	.	بنان	=	بنام
أسود قاتم	=	قاتن	.	مدحه	=	مدهه
أغن	=	أخن	.	وكنة	=	وقنة
لعل	=	لعن	.	الأبعاد	=	الأبعاط <sup>(١)</sup>
تلعثم	=	تلعزم	.			

وقد أفرد ابن جنى في كتابه الخصائص فصلين لهذا النوع من الكلمات ، ووضع لها قانونا عاما هو «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» وسماه بالاشتقاق الأكبر .

فاذا أضيف إلى هذا ما رواه القدماء عن [ عننة تميم وقطعة طيء وكشكشه أسد وشنشنة الين وكسكسة ريعة واستنطاء هذيل وعجججة قضاة وتلتة بهراء وطمطمانية خمير ] ، رأينا الأمر أكبر من أن يتعرض له هنا بالتفصيل ، وأولى به بحث خاص في اللهجات العربية القديمة ، ليتضح لنا أمور ثلاثة :

( ١ ) الصوت الأصلي وما تطور إليه .

( ٢ ) الأصوات التي مرجع اختلاف النطق بها اختلاف البيئات .

( ١ ) يؤيد هذا المثال ما ذكرناه في صفحة ٥٣ من أن الطاء القديمة

هي الضاد الحديثة .



وليس بينها أصل أو فرع .

(٣) الكلمات التي تشابهت أصواتها لمجرد المصادفة ولا علاقة بينها من الناحية الاشتقاقية .

(٢)

### المخالفة (Dissimilation)

من التطورات التي تعرض أحيانا للأصوات اللغوية ما يمكن أن يسمى بالمخالفة ، وهي أن الكلمة قد تشمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين . وقد دلت البحوث التي قام بها علماء الأصوات ، أن ظاهرة المخالفة قد شاعت في كثير من اللغات . وليست هذه الظاهرة إلا تطورا تاريخيا في الأصوات . ولم يفتن علماء العربية القدماء هذه الظاهرة ، أو لم يولوها ما تستحق من عناية ، واضطرب تفسيرهم لها . فقد أشار إليها سيبويه في باب سماء « باب ما شذ فأبدل مكان اللام لسكراهية التضعيف وليس بمطرد » ، ثم ضرب أمثلة لهذا [ كتسريت وتظنيت وتقصيت ] . كما أشير إلى هذا أيضا في أمالي الشجرى حين قال « وأما ما حذفوا منه وعوضوا فنحو تظننت قالوا تظنيت فعوضوا من النون الياء » ثم ضرب أمثلة هي [ تتلعي من اللعاعة . وتسريت من السر . وتقضي من التقضض ولا أملاه بدلا من أملاه . ودساها من دسساها . ويتمطسي من يتمطط ] .

والحقيقة أن الأمر أكبر من تلك الإشارات التي لا تقنع الباحث المدقق . لأننا نلاحظ أن كثيراً من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة (مدغمين في غالب الأحيان) يتغير فيها أحد الصوتين إلى صوت لين طويل - وهو الغالب - أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان ، ولا سيما اللام والنون . والسرف في هذا أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة . ولتسهيل هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً ، كأصوات اللين وأشباهاها .

وهذا التطور هو إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها كثير من المحدثين ، والتي تشير إلى أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي ، فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة ، وقد اعترف القديماء بسكراهية التضعيف ، ولعلمهم يريدون بهذا أنه يحتاج إلى مجهود عضلي .

وإن نظرة سريعة في كتب اللغة وقواميسها ساعدتني على جمع عشرات من أمثلة ، فيها معتل العين أو اللام يشترك في المعنى مع مضعف من نفس المادة . ويظهر أن الأصل في كل هذه الأمثلة هو التضعيف ، ثم سهل مع تطور الزمن بالاستعاضة عن أحد الصوتين المدغمين بالياء أو الواو لخفتها ، وفي بعض الأحيان استعويض عن الصوت بأحد أشباه أصوات اللين كاللام والنون ، وإن كان هذا نادراً في اللغة العربية .

وهالك أمثلة لتأييد هذا الرأي :

- (١) الطحّ : البسط . طحا كسعى ، بسط .
- (٢) الملحّ : صفرة البيض ، والملاح صفرة البيض .
- (٣) الجبّ والجوب : القطع
- (٤) عسّ : طاف بالليل . والعوس : الطوفان بالليل
- (٥) زحّه : نحاه عن موضعه . زاح يزحج : بعد وذهب وأزحته .
- (٦) قيراط : أصلها قرّاط . ودينار : أصلها دنّار .
- (٧) قصيت أظفارى : قصصت
- (٨) وأما بفعل الصالحين فيأتى : فيأتى .
- (٩) غمّ الهلال حال دونه سحب رقيق ، وغامت السماء .
- (١٠) حنّ عليه : حنا عليه .

فقد قلب أحد الصوتين المدغمين فى كل هذه الامثلة إلى صوت لين طويل .

وهالك بعض الامثلة التى يحتمل فيها أن أحد الصوتين المدغمين قد قلب إلى أحد أشباه أصوات اللين .

- (١) تشعّر فى قبيح تمادى وتعمق : الشنغير السىء الخلق .
- (٢) تحدّس الأخبار أراد أن يعلمها من حيث لا يعلم به . تحدّس الليل : أظلم . فعلاقة الخفاء بين الفعلين واضحة .
- (٣) الرسّ : دفن الميت والرّمس : الدفن أيضاً .
- (٤) العبّاس : الأسد والعنّس : الأسد أيضاً .

## الفصل الثاني

### الطفل و الأصوات اللغوية

(١)

#### تطور الصوت اللغوي عند الطفل

قال أحد الفلاسفة « لم يقم المرء في كل سنى حياته الطويلة بشيء يشير الدهشة ويدعو إلى العجب أكثر مما قام به حين تعلم النطق » .  
فقد بدأ الطفل مراحل نطقه بالصراخ ، الذى لم يرد منه فى أول الأمر التعبير عما يشعر به . ولسكنا نسارع عادة إلى الطفل حين يصرخ رغبة منا فى عونه ومساعدته . فلا يلبث الطفل أن يربط عملية الصراخ بما يقدم إليه أهله من وسائل الترفيه عنه ، ويتخذ هذا الصراخ سلاحاً يسله كلما شاء إحدى تلك الوسائل . فالصراخ الذى لم يكن فى أول الأمر إلا نشاطاً عضلياً ، قد يصبح بعد قليل من الزمن عملاً إرادياً عند الأطفال ، يستغله الطفل دون رحمة لمن يقضون الليل ، وهو فوق أذرعهم يغنون له الأغاني أو يؤرجحونه فوق الأيدي ، مفضلاً كل هذا على النوم فى سريره هادئاً مطمئناً .

وخير وسيلة هى أن يترك الطفل يبكى متى تأكد الأبوان أنه قد نال قسطه من الغذاء والنظافة . ففي بكاء الطفل تمرين لعضلات صوته .

ثم يلي هذه المرحلة مرحلة المناغاة ، فينطق بصوت لين يسبق عادة بأحد الاصوات الساكنة التي تشبه أصوات اللين ، مثل « لا » « نا » . ولكن هذه الأصوات إذا قورنت بمثيلها من أصوات الكبار ظهر بعض الفرق . لأن اتساع فم الطفل في هذه المرحلة لا يزال بحاجة إلى بعض النمو ليستطيع النطق بصوت « لا » ، كما ينطق بها الكبار .

فطول الشدق حين يولد الطفل يتراوح بين ٤٥ مليمتراً ، ثم تزيد نسبة الطول إلى ٦٠ مليمتراً في الشهر الثالث ، وإلى ٧٥ مليمتراً في آخر العام الأول . ثم ينمو بعد ذلك طول الشدق نمواً بطيئاً جداً ، لأن طول الشدق عند طفل في سن الخامسة هو نفس الطول عند الكبار ، لأنه في الرجال حوالي ٩٩ مليمتراً وفي النساء حوالي ٩٣ مليمتراً .

لهذا اختلفت أصوات أطفالنا عن أصواتنا بعض الاختلاف في السنين الأولى من حياتهم . بل حتى حين ينطقون ببعض أصوات تشبه أصواتنا ، نلاحظ اختلافهم عنا في عملية النطق ، من حيث وضع اللسان من الفم .

ويبدأ الطفل عادة في نهاية العام الأول بتقليد أصوات الكبار حوله تقليداً ناقصاً بطبيعة الحال . وهنا يبدأ المرحلة التي تعيننا في بحث أصوات الاطفال اللغوية .

ورغم أن المحدثين من علماء الأصوات قد أجمعوا على أن الطفل يبدأ النطق بما يسهل عليه من الأصوات ، قد اختلفوا بعض الشيء في ترتيب الأصوات اللغوية ، من حيث سهولتها على الطفل . على أنهم

جميعاً قد اعتبروا الأصوات الشفوية كالباء والميم من أوائل الأصوات التي يستطيع الطفل النطق بها ، وعلموا هذا بأن الطفل يرى حركة الشفتين حين يسمع هذه الأصوات من أمه أو أبيه . ولكن هذه العلة تستلزم مقدرة عقلية أكبر مما يمكن أن تكون عند الطفل في مثل هذه المرحلة . لأن ربط رؤية الشفتين بسماع الأصوات الشفوية يحتاج إلى عملية عقلية ، لا يصل إليها الطفل إلا في مرحلة متأخرة . هذا إلى أن انتباه الطفل في هذه المرحلة يتجه عادة إلى عيني أمه أكثر من الاتجاه إلى حركات شفيتها . وليس بعيد أن الطفل الذي يولد أعمى لا يبصر ، قد يبدأ النطق أيضاً بالأصوات الشفوية .

فالسر في البدء بالنطق بهذه الأصوات ، هو أن عضلات النطق بها ، هي نفس العضلات التي يستخدمها الطفل في الرضاعة . ثم يتدرج الطفل في النطق بالأصوات الصعبة ، التي منها ما يستحيل عليه النطق به قبل أن يبدأ أكل أطعمة أكثر صلابة من اللبن . ولا يكاد ينتهي العام الأول في نمو الطفل حتى يكون قد مهر في تكرير مقاطع متماثلة مثل [ د د د ] . وتكرير المقاطع مسلاة للطفل ، خير عنده من أية لعبة يمكن أن تهدي إليه . وقد تتضمن تلك المقاطع أصواتاً يصعب على الطفل فيما بعد ، النطق بها في كلمات من لغة أبويه . بل قد تتضمن أصواتاً لا جود لها في لغة الآباء . ومنشأ تلك الصعوبة فيما بعد هو الفرق بين النطق بالصوت لمجرد اللعب والتسلية ، والنطق به قصداً ، في موضع خاص من الكلمة ، مكتنفاً بأصوات خاصة .

ولهذا تعرض للطفل صعوبات جمّة حين يبدأ المرحلة الإرادية في تقليد نطق أبويه أو من حوله من الكبار .

فاذا تحرر الطفل من لغته الخاصة وبدأ تقليد الكبار حوله استطاع الباحث المدقق أن يعرف في معظم الحالات السر فيما قد يعرض لنطق الطفل من نقص في تقليد لغة أبويه . وهذا النقص في التقليد يخضع عادة لقواعد تبرزها القوانين الصوتية ، وعلاقة الأصوات بعضها ببعض .

( ١ ) فكثير من الأطفال يبدلون الكاف تاء لأن الصوتين يتحدان في صفتي الهمس والشدّة ، ولا فرق بينهما إلا في المخرج . فانتقال المخرج من أقصى الحنك إلى أدناه يبرر إبدال الكاف تاء ، لأن أقرب أصوات طرف اللسان إلى الكاف ، هي التاء . فقد يقول الطفل المصري « تلب » في « كلب » ، والطفل الإنجليزي قد يقول « tat » في « cat » وهكذا .  
والأطفال الذين يميلون إلى إبدال الكاف « تاء » ، يميلون أيضاً إلى قلب « الجيم » التي هي مجهور « الكاف » إلى « دال » التي هي مجهور « التاء » ، فيقولون في « عجّين » « عدين » وفي « جدّي » « ددي » .

( ٢ ) وصوت « الراء » صوت شاق عسير على معظم الأطفال ، فأحياناً تسمعه منهم « واوآ » مثل « ربّع » قد يقولون « وبع » ، وأحياناً يبدونها « لامآ » فيقول الطفل في « ورق » « ولق » ، وأحياناً نسمعها منهم « غينآ » أو مهموس الغين وهو الخاء ، مثل « بابور » ينطقون بها « بابوغ » أو « بابوخ » . ولا شك أن الواو واللام أسهل من الراء ،

لأنهما لا يحتاجان إلى جهد عضلي كبير . هذا إلى أن العلاقة الصوتية بين كل من اللام والواو وبين الراء واضحة جلية . لأن كلا من اللام والراء من الأصوات المائعة ( liquids ) ، التي تشبه أصوات اللين . والواو كما سبق شرح طبيعتها الصوتية ليست في الحقيقة إلا صوت لين انتقالي ، فعلاقتها بالراء إذن واضحة . فاذا أضيف إلى هذا أن الراء عند الأطفال يغلب أن تكون لهوية ، انضم إلى اشتراك الراء والواو في الصفة قرهما في المخرج ، ولكون الراء عند الأطفال لهوية ، أمكن أيضاً أن يستعوضوا بها بعض الأصوات القرية من اللهاة كالغين .

( ٣ ) « الذال » ونظيرها المهموس « الثاء » صوتان عسيران على الأطفال ، وعلى كثير من الكبار أيضاً . فقد تطورت « الذال » من النطق العربي القديم إلى الدال أو الزاي في لهجات الكلام الحديثة ، كما تطورت الثاء إلى التاء أو السين وقد سبق شرح هذا .

وقد تطورت الذال « th » في السنة أطفال الإنجليز إلى « v » ، وتطورت الثاء « th » إلى « f » ، فيقولون في « Mother » « Muvver » ويقولون في « throw » « frow » . هذا ولا تزال بعض اللهجات الانجليزية تلتزم النطق بالثاء « فاء » ، فيقولون في : ( thank You ) ( fank You ) .

وقد روى مثل هذا التطور في اللهجات العربية القديمة : [ جدث : جدف . ثوم : فوم ] ، لأن مثل هذا التطور الصوتي ليس إلا نتيجة انتقال قليل في المخرج ، لتصادف الأصوات اللثوية أشباهها في مخرج



آخر ، مع احتفاظها بصفات الجهر والهمس أو الشدة والرخاوة .  
وفي قليل من الأحيان نرى عكس هذه الظاهرة عند بعض الأطفال  
المصريين ، إذ يقولون في « فوق » « ثوق » وفي « فول » « ثول » .

( ٤ ) وكثير من الأطفال يقلبون الشين « سيناً » ، فيقولون  
« سمس » بدلا من « شمس » ، والسين « فاء » في مثل « sweet , swing »  
« fweet , fwing » والعلاقة الصوتية واضحة هنا لا تحتاج إلى عناء في  
الكشف عنها .

( ٥ ) ويميل الأطفال عادة قبل سن الثانية إلى الجهر بالصوت  
الأول من الكلمة إذا كان مهموسا . فقد نسمع طفلا مصريا يقول في  
« كحك » « جحك » . فصوت اللين الذي يلي الكاف قد أثر فيها فجعلها  
مجهورة مثله ، ومضى جهرت الكاف صارت « جها » قاهرية . وقد يقول  
الطفل المصري في « فُل » « لُل » « لَل » وهنا أيضا أثر البدء بصوت مجهور ،  
واختار اللام من بين المجهورات ليتحقق ميله إلى تكرار المقاطع

( ٦ ) الطفل أيضا في نطقه يتلمس أيسر الطرق ، وما لا يكلفه جهداً  
عضلياً ، وهو لهذا لا يميل إلى توالي صوتين أحدهما مجراه الأنف  
كالميم والنون ، والآخر مجراه الفم كباقي الأصوات . ولهذا يميل إلى جعل  
مجرى كلا الصوتين المتجاورين إما من الفم فقط ، أو الأنف فقط .  
لهذا قد نسمع بعض أطفالنا في المراحل الأولى يقولون في « تين »  
« نين » . ففي هذا المثال جهر الطفل أولا بالتاء فأصبحت « دالا » ، ثم  
جعل مجرى الدال من الأنف فصارت « نونا » ، إذا لا فرق بين

النون والبدال إلا في أن الأولى مجراها من الأنف والثانية من الفم ، أما موضع اللسان مع كل منهما فيكاد يكون متحداً . ويظهر أن الصوت الثاني هو المتفوق دائماً ، أى أنه هو الذى يؤثر في الأول ، ويقبله تبعاً له ، لأنه آخر ما يسمع الطفل من أصوات الكلمة ولهذا قد نسمع بعض أطفالنا يقولون في « موز » « بوس » ، فقد قلبت الميم هنا إلى نظيرها من أصوات الفم وهو « الباء » ، هذا إلى همس الصوت الأخير من الكلمة فأصبحت الزاى « سيناً » ، لأن الطفل في هذه المرحلة يميل إلى الجهر في أول الكلمة والهمس في آخرها .

ومثل هذا يمكن أن يقال حين نسمع طفلاً يقول في « سمك » « بك » ، فقد بتر أولاً المقطع الأول ، ثم قلب الميم إلى نظيرها من أصوات الفم وهى « الباء » .

(٧) وتقليد الأطفال لأصوات الكبار ، قد يعرض له عدة مراحل في التطور ، تجعل من العسير إلا على عالم بطبيعة الأصوات اللغوية أن يكشف عن سر تطورها ، ومعرفة القاعدة التى خضعت لها في هذا . ولأضرب مثلاً حول طفلة قد أوشكت على الثالثة من عمرها ، قد نطقت بالكلمات الإنجليزية :

smoke , sneeze , smell , snow.

كما يلي بالترتيب :

Poke , teeze , Pell , tow.

حين نحلل أصوات هذه الأمثلة الأربعة نراها في الأصل تبدأ بصوت السين ، يليه صوت أنفى . وقد قلب أولاً الصوت الأنفى إلى

ما يناظره من أصوات الفم : فالميم قلبت « باء » ، والنون « دالا » ، ولكن الباء والدال صوتان مجهوران ، لا يناسبان السين المهموسة التي بدأت بها الكلمات الأصلية ، لذلك همست الباء فأصبحت (P) وهمست الدال فصارت (t) ، وسقطت السين من كل كلمة من هذه الكلمات . وليس هذا بغريب لأنى سمعت طفلاً مصرياً لم يناهز الثانية من عمره ، ينادى خادمه المسمى « فتوح » قائلاً « پوح » ، فقد كون من صوتي « الفاء » و « التاء » صوتاً واحداً ، هو الذى يرمز إليه فى اللغات الأوربية بالرمز (P) ، وهو يشرك كلا من الفاء والتاء فى الهمس ، ويشارك الفاء فى المخرج ، لأن كلا منهما شفوى ، ويشارك التاء فى الصنفة لأن كلا منهما شديد أو انفجارى .

#### (٨) سقوط الصوت :

وقد يكون الصوت سهل النطق به مفرداً ، فاذا كان فى مجموعة من الأصوات صعب على الطفل ، فيتخلص منه ، ويسقط الصوت من الكلمة . فكثير من أطفال الإنجليز ينطقون الكلمات :

black , tram , plug.

كما يلى على الترتيب .

back , tam , pug.

ومثل هذا ما قد نسمعه من بعض أطفالنا ، حين يقولون فى « كوره » « أوله » وفى « جرس » « ألس » أو « أغس » وفى « سقف » « سقب » .

### (٩) بشر المقاطع :

يصعب على الأطفال عادة النطق بمجموعة من المقاطع دفعة واحدة حين يسمعون من حوله من الكبار ، ولهذا نلاحظ أنه يقتصر على المقاطع الأخيرة منها . فربما قال في « عربجي » « بجي » فقط وفي « أنبوبة » « بوبه » . وليس هذا لأن الطفل لا يستطيع النطق بسلسلة من المقاطع ، بل السر في هذا هو ضعف الذاكرة السمعية للطفل ، فلا يدري كيف يرتب تلك المقاطع كما سمعها ، ولا كيف بدأت ، فيكتفي بالنطق بالمقاطع الأخيرة . والطفل في مناغاته لنفسه قد ينطق بسلسلة طويلة من المقاطع المتباعدة الأصوات ، ولكن نطقها لها حينئذ غير إرادي ، فإذا أريد إليه النطق بمثلاً نطقاً إرادياً فيما بعد ، تعثر ، وقصرت ذاكرته السمعية عن النطق بها ، فيكتفي ببعض منها ، ويتر من الكلمة مقاطعها الأولى في غالب الأحيان . وكثير من أطفالنا يقولون في « شكولاته » « آته » .

### (١٠) التكرار :

وما نلاحظه في لغة الطفل في المراحل الأولى ، ميله إلى تكرار المقاطع المتماثلة ، مما أدى إلى أن لغة الأطفال قد اشتملت على كثير من كلمات أو عبارات مكررة المقاطع ، مثل : « تنه » « دادا » « ماما » « بابا » « نَمَّا » .

وليس من الضروري أن نعزو هذا إلى أن الطفل حينئذ يمر في نفس الطور الذي مر فيه الإنسان الأول ، وأن نقارن هذه الظاهرة

بلغه القبائل الأولية ، وما يشيع فيها من ميل إلى تكرار المقاطع في كثير من كلماتها ، ليس من الضروري كل هذا ؛ بل يمكن أن تفسر هذه الظاهرة تفسيراً أبسط ، وهو أن الطفل يلذ له تكرار نفس العمل مرة ومرتين وثلاثاً ، فلا غرابة أن يكرر مقاطع كلماته . فكما نجد لذته في تكرار حركة رجليه ويديه ، كذلك يسر بتكرار النطق بمقاطع متماثلة . هذا هو السر فيما نلاحظه من تكرار في المقاطع عند الأطفال . وليس بغريب إذن أن نسمع طفلاً مصرحاً يقول في : « محمل » « مدمع » ، ففضلاً عن أنه قد جهر بالحاء فأصبحت « عيناً » لأن الميم التي بعدها صوت مجهور ، قد جعل الكلمة مكونة من مقطعين متماثلين كل المماثلة . وليس بغريب أيضاً أن نسمع بعض أطفالنا يقولون في : « فول » « لول » وفي « فيل » « ليل » .

### (١١) نغمة الكلام : (Intonation)

يستطيع الطفل منذ الشهور الأولى أن يميز بين نغمة التذليل ونغمة الزجر . وينمو هذا الاستعداد مع الطفل ، فيسترعى انتباهه نغمة الكلام وموسيقاه ، أكثر مما يسترعى انتباهه ما اشتمل الكلام عليه من كلمات ومعان . ولهذا نلاحظ كثيراً من الأطفال ، فيما بعد ، يتفاخرون بأنهم يستطيعون الكلام بالإنجليزية مثلاً ثم لا نسمع منهم إلا نغمة النطق في كلام الإنجليز .

(٢)

## طريق الصواب

يحاول الطفل محاولات عدة للوصول بنطقه إلى النطق الصحيح ، كما ينطق من حوله من الكبار . وقد يمرن الطفل نفسه في بعض خلواته الذاتية على النطق بمجموعة من الأصوات ، لم يحسن النطق بها أمام أبيه أو أمه .

وهناك احتمالان في نطق الأطفال للأصوات :

(١) أحدهما أن يشعر الطفل بالنطق الصحيح للأصوات ، ولكنه لا يجد عضلات نطقه مطاوعة له ، وحينئذ يظل النقص في تقليده للأصوات مدة أخرى ، خلالها يأبى على الكبار أن يقلدوا نطقه الناقص ، ويريدهم على النطق الصحيح الذي يشعر به بأذنيه وإن كان لا يحسنه بلسانه . فإذا قالت له أمه « عدين » وهي تريد « عجين » رفض قبول هذا النطق ، وحاول تصحيحه لها . ومع هذا فيظل هو يقول : « عدين » حتى تكمل عضلات نطقه ، وتمرن المران الكافي ، فيحسن القول كالكبار .

(٢) والآخر أن يكون السر في نقص تقليد الطفل هو عدم استقرار عضلات سمعه . وحينئذ يقلد ما يسمع تقليداً ناقصاً . ومصدر هذا النقص هو السمع لعضلات النطق . وخير وسيلة في مثل هذه الحالة أن يترك الطفل حتى يستقر سمعه فيصحح هو نفسه الخطأ فيما بعد .

وطريق النطق بالصواب عند الأطفال ليس مستقيماً في كثير من الأحيان ، أى أن الطفل حين يحاول إصلاح خطئه لا ينجح دائماً من الشوط الأول ، بل قد يزل زللاً آخر . ولهذا قد نسمع بعض الأطفال يقلدون كلمة من الكلمات تقليداً ناقصاً ، فاذا مر عليهم أساييع سمعنا نفس الكلمة تتخذ في أفواههم شكلاً آخر قبل أن يصل بها إلى النطق الصحيح . وقد روى بعض الآباء من الإنجليز أن ولده قد مر في مراحل عدة قبل أن يستطيع النطق بكلمة « please » نطقاً صحيحاً . فقد نطق بها أولاً « bi » ثم « bli » ثم « Pi : z » وغير ذلك من الصور قبل أن يصل إلى النطق الصحيح .

كما روى بعض الآباء من الفرنسيين أن طفله نطق بكلمة « merci » أولاً « mènì » ثم « Pèti » ثم « mèti » ثم « mèsì » قبل أن يستطيع النطق بها نطقاً صحيحاً .

وليس بغريب لهذا أن نسمع أن ذلك الطفل المصرى الذى أشرنا إليه آنفاً ، قد نطق اسم خادمه « فتوح » قائلًا أولاً « پوح » ثم « پتوح » قبل أن يستطيع النطق باسم خادمه نطقاً صحيحاً .

وقد مر نطق نفس هذا الطفل في مراحل مختلفة حينما حاول تقليد الكلمات الآتية : حلاوة - موز - افتح .

- فقد قال فى الأولى : [ « آلة » ثم « حالة » ثم « حلاوة » ] .
- وقال فى الثانية : [ « بيس » ثم « بوس » ثم « موز » ] .
- وقال فى الثالثة : [ « اتح » ثم « ايتح » ثم « افتح » ] .

وفي كل صورة من هذه الصور يستطيع عالم الأصوات اللغوية أن يفسرها تفسيراً علمياً ، وأن يجد ما يبرر مثل هذا النطق في القوانين الصوتية .

( ٣ )

### صياغة كلمات من مناغاة الأطفال

يستلقي الطفل في سريره هادئاً مطمئناً فيبدأ في تحريك يديه ورجليه ، بينما تصدر منه تلك الأصوات الفطرية التي نسميها مناغاة . وتكاد تنحصر تلك الأصوات في صوتي الشفة [ الميم والباء ] ، وصوته طرف اللسان الذي نسميه بالبدال هو ونظيره المهموس « التساء » ، مضافاً إلى كل هذا صوت النون ومعظم أصوات اللين . فهذه هي أحب الأصوات عند الطفل في مراحله الأولى ، يكررها ويتسلى بها ، دون أن يربط بينها وبين أى معنى من المعانى . فالطفل يبدأ المناغاة واللعب بلسانه وشفثيه ، دون أن يكون له في أول الأمر مقصد يهدف إليه ، بل يصدر كل هذا عنه في صورة غريزية ، ولجورد التسلية واللهو . فمثله في تحريك لسانه وشفثيه في هذه المرحلة ، كمثلته في تحريك عضلاته الأخرى كاليدن والرجلين .

ثم لا يلبث أن يربط بين تصرف الكبار حوله ، وبين تلك الأصوات التي تصدر منه . وهو في مناغاته يندر أن يجمع بين صوتين ساكنين ، ولكنه عادة ينطق بصوت ساكن من الأصوات السابقة



ويضيف إليه صوت لين . وبذا يكون مقطعاً بسيطاً مثل (da, ba, ma) .  
ويبدأ للطفل تكرار أمثال تلك المقاطع فتسمع منه أحياناً :  
(bobo, mama, nene) الخ .

وقد يبدأ المقطع بصوت لين ، كما قد ينتهي مقطعه بصوت لين  
أيضاً . ففي بعض الأحيان نسمع منه ( amama, atete, ababa ) الخ .  
وفي كل مرة يناغى الطفل نفسه ، يفد إليه أحد الكبار حوله  
حوله مستمتعاً بأصوات الطفل ، فرحاً مسروراً بمناغاته ، فلا يلبث  
الطفل أن يربط بين أحد أصواته وبين شخص معين ، ممن يعيشون  
حوله كالأم أو المربية ، وهنا يخيل للكبار أن الطفل يدعوهم ، ويخلع  
عليهم اسماً من اختراعه ، لأنهم تعودوا ألا ينطقواهم أنفسهم بشيء .  
إلا حين يسكون له معنى من المعاني . فيحملون أصوات الطفل معاني  
من اختراعهم . فإذا نطق الطفل بالمقطع « ma » أو كرره فأصبح  
« mama » أو « amama » ، وصادف أن جاءت حينئذ أمه أو مربيته  
في أثناء تلك المناغاة ، ربط هذا الطفل بين تلك الأصوات وبين مجيء  
أمه أو مربيته . وقد تحمل الأم أو المربية تلك الأصوات معنى من  
المعاني ، كأن تظن أن الطفل يسميها « ma » أو « mama » ، فتتمسكها  
نشوة السرور ، وتعيد على سمع الطفل أصواته مشيرة إلى نفسها ، رغبة  
منها في أن يتعرف الطفل عليها ، ويدعوها بهذا الاسم المحبب اليها ،  
وأن تكون هي أول إنسان يتعلق به الطفل في بيئتها .

وقد ترتب على هذا أن لاحظ المحدثون وجوه شبه بين كلمات خاصة

في كل لغات العالم . ولا تدل تلك الكلمات على تفرع اللغات من أصل واحد ، أو أن بعضها قيد استعمار تلك الكلمات من البعض الآخر . ولكن الذي تدل عليه هو أن الطفل في كل العالم قد أثر المناغاة بأصوات خاصة ، نطق بها نطقاً غريزياً ، وأن الكبار في كل الشعوب هم الذين وضعوا لتلك الأصوات معاني خاصة ، وحملوها ما لم يقصده الطفل .

ففي جميع لغات العالم كلمات ، بسيطة المعنى ، عريضة النشوء ، يمكن إرجاعها جميعاً إلى الأصوات الفطرية التي تصدر من الطفل في مراحلها الأولى . فمن أصوات « الميم والباء والنون والداال والتاء » ، تلك الأصوات المحببة عند الطفل في مناغاته ، نشأت تلك الكلمات المشتركة بين لغات البشر ، حين كون الطفل منها مقاطع متحركة ، ثم كرر تلك المقاطع ، فنسب إليها الكبار حوله من المعاني ما شاءت لهم رغباتهم . فمعاني تلك الكلمات من وضع الكبار ولكن أصواتها من عبث الأطفال ولهوهم .

على أن تلك الأصوات البسيطة ، تتبع فيما بعد النسج الخاص للكلمة في كل لغة . فأحياناً يصيحبها زيادة في أصواتها ، كأن يضاف إليها صوت الراء ، وهو ماشاع في الفصيلة الهندية الأوربية ، متبعة في كل حالة النسج الخاص للكلمات في كل لغة من لغات هذه الفصيلة .

وأول ما يستلفت نظر الطفل في هذه المرحلة ، هو منظر الأم والمرية والأب . والطفل يجد أيضاً لذة وممتعة في ثدي أمه ، وفي طعامه

وشرابه، ومشيه ونومه، إلى غير ذلك من الأحداث التي تترك أثراً  
تقوياً في نفس الطفل. فهو لهذا يبدأ بالمناغاة من أجل أمه وأبيه، أو  
رغبة منه في طعام أو شراب أو نوم. وقد أدى هذا إلى أن الكلمات  
التي تعبر عن مثل هذه المعاني في لغات البشر، قد اشتركت في أصولها  
أو عنصرها الأساسي، لأنها جميعاً نتيجة مناغاة الأطفال، وهي طبيعية  
فيهم. وتكاد تنحصر في أصوات خاصة هي: الميم. الباء. النون.  
الدا. التاء.

وحين نستعرض الكلمات التي تعبر عن الأمومة في كل لغات  
البشر، نجد عنصرها الأساسي في غالب الأحيان هو صوت الميم،  
وفي بعض الأحيان الباء، بل قد يكون النون أيضاً. ففي الإنجليزية  
« mother » والفرنسية « mère » والعربية أم. وفي اللغات السلافية  
نجد الباء هي العنصر الأساسي للكلمات التي تعبر عن الأمومة. وفي  
السنسكريتية نجد « nana » معناها الأم. ومثل هذا ما شاع في بعض  
البيئات المصرية، أمثال « ne:na » و « anna » التي جاءت إلينا  
من التركية.

والكلمات التي تدل على الأبوة تكاد تشترك في عنصر أساسي بين  
لغات البشر وهو « الباء » أو مهموسها « p »، مثل « baba » و « papa »  
التي منها جاءت الإنجليزية « father »، والفرنسية « père ». فقد  
تطورت الباء المهموسة إلى فاء في الكلمات الإنجليزية وهو أمر تهره  
القوانين الصوتية. وكذلك نرى العربية والعبرية والسريانية تحتفظ

بالباء كعنصر أساسي للكلمات التي تعبر عن الأبوة . وقد يكون  
العنصر الأساسي في معنى الأبوة صوتاً آخر مثل الدال في « dad »  
الإنجليزية . وقد استغل هذا الصوت في لغة كلامنا ، إذ منه جاءت الكلمة  
« dada » التي تعبر عن المربية . وبعض اللغات يجعل العنصر الأساسي  
لمعنى المربية « الميم » ، فنسمع في الألمانية والسويدية « amme » بمعنى  
المربية ، كما نسمع شيئاً قريباً من هذا في بعض البيئات عندنا .

وكلمات الأطفال للتعبير عن الطعام والشراب ، وثدى الأم ، والنوم  
وكل ما يلذ له ، يكاد ينحصر عنصراً أساسياً في تلك الأصوات التي  
أشرت إليها آنفاً . ففي لغة الكلام عندنا نسمع أحياناً « mamma »  
« nenna » ، « tata » الخ .

ويدهش الكبار أحياناً حين يخطئ الطفل بين معاني تلك الكلمات  
فيقول « baba » ، حين يراد منه أن يقول « mama » ، حتى تكمل مرحلة  
خاصة في نمو الطفل عندها ترسخ المعاني التي وضعت لأصواته .

هذا هو الطور الأول لنشوء مثل هذه الكلمات ، أما الآن فقد  
استقرت الشعوب على تسمية الأب والأم باسم خاص لا يسمح بغيره .  
فاذا نطق الطفل في مصر بمثل ( mama ) أمام أبيه ، حاول الكبار حوله  
تصحيح نطقه ، ليعودوه ما تعودوا ، حتى ينشأ الطفل في كل بيئة لغوية ،  
ملقباً الأب أباً ، والأم أما . لأن اللغات الآن قد استقرت على أمر  
خاص يعلمه الطفل ، ولا ينساق الكبار مع طبيعته محاولين وضع معانٍ  
جديدة لأصواته .

وقد تستعير بعض اللغات من اللغات الأخرى كلماتها التي تدل على الأمومة أو الأبوة ، رغبة في تقايد شعب ناهض ، أصاب حظاً كبيراً من المدنية والرقى .

ويزعم بعض الكبار أن الطفل عادة يعرف أباه قبل أن يعرف أمه ، تجرد أنهم سمعوه يقول « baba » قبل قوله « mama » . والحقيقة أن الأطفال يختلفون في البدء بصوت خاص في مناجاتهم ، فمنهم من يبدأ بالباء ومنهم من يبدأ بالميم . فإذا حاول طفل من النوع الأول أن يلقب أمه baba ، أنكرت عليه هذا ولم تتقبله منه ، ولا تزال به حتى ينطق ( mama ) ، لأنها لم تألف تسمية الأم بمقاطع مثل ( baba ) .

---

## الفصل التاسع

### عوامل تطور الأصوات اللغوية

لا نريد أن نعرض هنا لما قد يصيب أصوات اللغة من تطور نتيجة انتقال اللغة من بيئتها ، واتصالها بلغة أخرى ، وما قد يكون بين اللغتين من صراع ، ولا إلى ما قد يصيب أصوات اللغة ، نتيجة نزوح شعب أجنبي إلى بيئتها ، فتتأثر أصوات تلك اللغة بأصوات لغة الغازين أو النازحين ؛ لا نريد أن نعرض لمثل هذه البحوث ، لأنها ستخرجنا عن الغرض المقصود من هذا الكتاب . وإنما نهدف في هذا الفصل إلى الحديث عن سر تلك الظاهرة التي نلاحظها ، من فرق بين لغة السلف والخلف ولم تتغير بيئة اللغة ، أو ينزح إليها غير أهلها . على أننا ، حتى في هذا ، لن نعرض هنا إلا إلى التطور الصوتي ، تاركين تطور القواعد النحوية ، وتطور الدلالة بين معاني الكلمات ، للبحوث المستقبلية .

يشير الباحثون عادة إلى اللغة ، وتطورها على مرور الزمن ، بأن اللغة كائن حي ، يخضع للتطور والتغير من جيل إلى آخر . فاللغة دائمة التطور مهما أحيطت بسياج من الحرص عليها ، والمحافظة على خصائصها . لأن اللغة ليست في الحقيقة إلا عادات صوتية ، تؤديها عضلات خاصة ، ويتوارثها الخلف عن السلف . غير أن تلك العضلات لا تؤدي تلك العادات الصوتية ، بصورة واحدة في كل مرة . بل قد يلحظ عالم

الأصوات بعض الفروق الدقيقة بين نطق أبناء اللغة الواحدة ، في البيئة الواحدة .

وقد أكد لنا المحدثون أنه ليس بين أبناء اللغة الواحدة اثنان ينطقان نطقاً متماثلاً في كل الصفات . بل إن المرء الواحد قد ينطق الصوت الواحد من لغته ، نطقين متباينين في ظروف متباينة ، وقد تدق أمثال تلك الفروق ، حتى على أصح الأذان انتباها ، وأكثرها ملاحظة . فاذا تراكت تلك الفروق الدقيقة ، وتبلورت مع مرور الزمن ، أصبحت من الوضوح بحيث لاتدع مجالاً للشك في أن لغة الخلف تغاير لغة السلف في أصواتها .

وقد يبدو التطور الصوتي بين لغة الخلف والسلف في بعض الأحيان ضئيلاً . وذلك لأن الوسيلة التي لدينا للكشف عن خصائص لغة الأجداد ، هي الكتابة ، وما سجل من كلام السلف . ولكن الكتابة وسيلة ناقصة للتعبير عن اللغات ، لهذا لاتظهر لنا الكتابة القديمة كل الخصائص الصوتية في لغة القدماء . وستكون مهمة اللغويين في المستقبل البعيد أيسر ، ونتائجهم أدق ، حين يبحثون في التطور الصوتي للغة ، لأنهم سيجدون أمامهم أسطوانات وأشرطة سجلت عليها الكلمات تسجيلاً صوتياً دقيقاً . وحينئذ ستكون نظرياتهم مؤيدة بأدلة لا مجال للطعن فيها .

أما ما أثاره المحدثون من نظريات حول التطور الصوتي للغة ، فهو أكبر من أن يستوعب هنا . ولهذا سنكتفي بالإشارة إلى كل منها ،

هو ضحين نواحى القوة والضعف فيها .  
ومن المحدثين من عزوا التفسير الصوتى فى اللغة إلى سبب واحد  
أساسى ، تشترك فيه جميع اللغات . ولكن الأكثرين يرجحون أن عدة  
أسباب قد اشتركت فى نشوء هذا التغير . ومن الصعب أن نؤكد أى  
هذه الأسباب كان العامل الأساسى فى كل تطور من التطورات .

## ( ١ )

### اختلاف أعضاء النطق

يزعم بعض العلماء أن تغير الأصوات من جيل إلى جيل ، ليس  
إلا نتيجة تطور عضلى فى أعضاء النطق . فقد تبع الاختلاف فى تسكوز  
أعضاء النطق ، تغير فى الأصوات . ومثل هذه النظرية ، على ما بها من  
جاذبية ومتعة ، لم يستطع أحد من علماء التشريح البرهنة عليها . بل لقد  
برهن معظمهم على أن أعضاء النطق عند الإنسان ، تتحد فى جميع  
تفاصيلها ، من وجهة نظر علم التشريح . وقد برهن بعضهم على أن  
حنجرة أشهر المغنين لا تمتاز عن حنجرة الرجل العادى من هذه الناحية ،  
والفرق بين المغنى وغيره ، أن الأول يملك زمام تنفسه ، ويسيطر على  
ما يندفع من الرئتين من هواء سيطرة تامة . ومثله فى هذا مثل صاحب  
الخط الجميل ، لافرق بين عضلات يديه من الناحية التشريحية وبين  
عضلات يدى أى رجل عادى ، ولكن سيطرة صاحب الخط الجميل  
على حركات أصابعه سيطرة تامة ، هى مصدر جمال خطه : وكذلك



الراقصة الماهرة لا فرق بين تركيب أعضائها جسمها ، وبين أية امرأة أخرى ، ولكن الراقصة تستطيع السيطرة على حركات جسمها سيطرة لا يضارها فيها غيرها من النساء .

ومصدر السيطرة على التنفس ، وضغط الهواء المندفع من الرئتين ، وكذلك مصدر السيطرة على حركات الأصابع وأعضاء الجسم ، هو المخ . فالأمر إذن ليس مرجعه في الحقيقة إلا إلى الناحية العقلية أو السيكلوجية .

هذا إلى أنه قد ثبت بالتجربة ، أن مدرس « الفوناتييك » يستطيع أن يعلم تلاميذه ، أى صوت من الأصوات ، فى أية لغة من لغات العالم ، مع شيء من المران والشرح العلى ، دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أى تغير فى تكوينها .

ولسنا نعى بتطور الأصوات فى اللغة ، أن القديم منها يفنى فناء كلياً دون أن يترك أثراً له ، وأن أصواتاً جديدة لا وجود لها من قبل تنمو وتنتشر فى الكلام ، وإنما الذى نغنيه هو أن الأصوات القديمة تنتقل من مخارجها ، وتستعمل فى مخارج جديدة ، أو يبطل استعمالها فى مكانها الأصلى .

حقاً إن بعض القبائل الأولية قد اتخذت عادة بتر جزء من الشفتين والأسنان ، قصد التجميل والزينة ، مما ترتب عليه أن أصبح يستحيل على المرء فيها النطق ببعض الأصوات ، ولكن مثل هذا ، لا يقام له وزن فى الحديث عن التطور الطبيعى للأصوات اللغوية .

(٢)

## البيئة الجغرافية

من المحدثين من يجعلون للطبيعة الجغرافية لبيئة اللغة أثراً كبيراً في نوع التطور الذي قد يصيب هذه اللغة ، وعلى رأس هؤلاء H. Collitz ، فقد عزا تطور الأصوات الشديدة في اللغة الألمانية إلى نظائرها الرخوة ، للطبيعة الجغرافية في بعض جهات ألمانيا . وقد أكد في مقالاته أن الجهات الجبلية تميل لغاتها إلى التخلص من أمثال b. d. g. فتمس أولاً ، وتصبح على الترتيب p. t. k. ، ثم تقلب هذه إلى نظائرها الرخوة [ الفاء . الثاء . الهاء ] على الترتيب . وقد أشار في مقالاته إلى أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطاً كبيراً في عملية التنفس ، ويتبع هذا الميل بالأصوات من الشدة إلى الرخوة .

وقد تصدى له « Jespersen » مفسداً هذا الزعم ، ومشيراً إلى أن التطور الذي أشار إليه « Collitz » قد حدث أيضاً في البيئات السهلة ، وأنه لا أهمية لنشاط الرئتين في النطق بالأصوات اللغوية ، بل المهم هو ما تقوم به الحنجرة وسائر أعضاء النطق الأخرى .

وإذا كانت أصوات اللغات في بعض الجهات الجبلية تميل إلى الخشونة ، كما في جهات القوقاز ، فليس السرّ في هذا الطبيعة الجبلية ، بل يجب أن يبحث عن سر آخر ، لأن كثيراً من الجهات السهلة قد اشتركت أصواتها في هذه الصفة .

وعلى هذا فمن الصعب الحكم على أثر الطبيعة الجبلية فى أصوات اللغة وتطورها .

أما إذا قيل إن الطبيعة الجغرافية ، لها أثر فى الأخيـلة والمعانى ، فهذا مما لا جدال فيه ، ولكنه ليس موضوع بحثنا .

( ٣ )

### الحالة النفسية

بعض العلماء يعزّون تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة ، أو العكس ، إلى الحالة النفسية التى يكون عليها الشعب . فالشعب حين يميل إلى الدعة والاستقرار ، تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة . فإذا اعتز الشعب بقوة وجبروته مال إلى العكس . وأصحاب هذا الرأى يتلمسون أدلة على قولهم من التطور التاريخى الذى أصاب الشعب الألمانى ، وما تبع هذا من تطور فى أصوات اللغة . غير أن مثل هذا ، لا يستحق منا أن نقف عنده أكثر من هذا ، لأن الربط بين أصوات اللغة ، والحالة النفسية عند الشعوب ، لا يجد ما يؤيده فى تاريخ الشعوب الأخرى .

( ٤ )

### نظرية السهم — ولة

تنادى هذه النظرية بأن الإنسان فى نطقه لأصوات لغته ، يميل إلى

الاقتصاد في المجهود العضلي ، وتلبس أسهل السبل ، مُع الوصول إلى ما يهدف إليه ، من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين معه . فهو لهذا يميل إلى استبدال السهل من أصوات لغته ، بالصعب الشاق الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكبر . ومثل الإنسان في هذا ، مثله في كل الظواهر الاجتماعية ، يحاول عادة الوصول إلى غرضه عن أقصر الطرق كلما أمكن ذلك . وليس معنى هذا أن هذه النظرية تنطبق على كل الحالات ، وإنما يمكن تطبيقها على كثير من التطورات الصوتية في اللغة . فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتي كان عكسياً ، أي من السهل إلى الصعب — كما وجد فعلاً في بعض الحالات — فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة تبرر هذا التطور . وهو ولا شك سيجدها في ظروف خاصة باللغة التي قد يحدث فيها هذا النوع من التطور . فليس ينقض هذه النظرية أن نجد أحياناً أصواتاً سهلة ، تطورت إلى أصعب منها في بعض الحالات .

وومن نادوا بهذه النظرية « Curtius , Whitney » . وقد لاقت هذه النظرية بعض المعارضين ، الذين بنوا كل أدلتهم لدحض هذه النظرية على ما لم يقله أحد من مؤيديها . فقد تصوروا أن مثل هذا التطور يستلزم المواءمة ، والاتفاق ، وأن للمرء إرادة في مثل هذا التطور .

والحقيقة أن أنصار هذه النظرية ، قد أوضحوا لنا بما لا يدع مجالاً للتبس والابهام ، أن هذا التطور غير إرادي ، فهو يحدث دون أن يشعر به المتكلم ، ودون أن يعتمد إليه قصداً . فالمرء في الحقيقة حين

ينطق بالصوت السهل بدل الصعب ، يخيل اليه دائماً أنه ينطق بالصوت الأصلي دون تغيير فيه . فالعملية إذن لا شعورية ، وهى لهذا تترك أثراً فى تطور كثير من أصوات اللغات . كما أنها ليست عملية مفاجئة بل تمر تدريجياً فى أطوار اللغة ، حتى يظهر أثرها واضحاً جلياً بعد أجيال .

حقاً أنه من الصعب فى بعض الأحيان الحكم على أى الصوتين أسهل ، أو أصعب ، ولكن بما لا شك فيه أن الأصوات الساكنة الشبيهة بأصوات اللين كاللام والنون مثلاً لا تحتاج إلى مجهود عضلى ، كالذى تحتاجه بعض الأصوات كالطاء والغين . فاذا قيل لنا إن السين والفاء قد قلبتا فى بعض التطورات اللغوية إلى هاء ، لا نشك لحظة فى أن الصوتين قد قلبا إلى صوت أسهل منهما . وقد حدث هذا التطور فعلاً فى بعض اللغات .

هذا ويجب أن ينظر إلى هذه النظرية ، لا على أنها العامل الوحيد فى تطور الأصوات ، بل على أنها قد تكون أحد العوامل ذات الأثر البين فى التطور الصوتى . فقد سبق أن أشرنا إلى أن التطور الصوتى بصفة عامة ، ليس إلا نتيجة عدة عوامل مجتمعة .

وقد كان القدماء من مؤلفي اللغة العربية ، يشيرون إلى هذه النظرية فى ثنايا كتبهم ، إشارات مبهمه غامضة ، حين عزوا كثيراً من التطورات الصوتية فى اللغة العربية ، إلى ما سموه ثقل الصوت أو خفته . فقد نسبوا الخفة إلى الفتحة والثقل إلى الضمة والكسرة .

وقد نسبوا الثقل إلى الهمزة ، والسكر اهية إلى توالي المتحركات في الكلمة الواحدة ، أو توالي الأصوات المتماثلة . ثم رتبوا على كل هذا ، ظواهر لغوية مشروحة ومعروفة في كتب النحاة .

وقد يؤيد هذه النظرية ، ذلك التطور الذي حدث في أصوات اللغة العربية الرخوة ، كالذال والطاء ، إذ أصبحت في لغة الكلام أصواتاً شديدة ، هي الدال والتاء والضاد . لأنه قد يكون أسهل على المرء وهو يجرى بأقصى سرعته ، أن يصطدم بحائط أمامه ، من أن يحاول الوقوف قبل الحائط بمسافة قصيرة .

وكذلك اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك ، والالتقاء به التقاء كاملاً ، ينحبس معه النفس ، وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة ، من أن تقف حر كته عند مسافة قصيرة من الحنك ، ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة . وليس بغريب لهذا أن نسمع طفلاً مصرياً يقول في « زيت » « ديت » .

وقد حاول بعض العلماء الانتقاص من هذه النظرية . بأنها تنسب إلى الانسان الكسل ، مع أنه يزداد نشاطاً على مر الايام . والحقيقة أن هناك فرقاً بين ما تنادى به النظرية ، من أن الانسان يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي ، وبين الكسل . لأن الكسل في العمل لا يؤدي إلى النتيجة المرجوة ، التي يهدف اليها المرء ، في حين أن الاقتصاد في المجهود العضلي قد يؤدي إلى نفس المطلوب عن طريق أقصر .

## نظرية الشيوخ

قرر نادى بهذه النظرية « Vilhelm Thomsen » ، وغيره من المحدثين . وتقرر هذه النظرية أن الاصوات التى يشيع تداولها فى الاستعمال ، تكون أكثر تعرضاً للتطور من غيرها .

وقد كان القدماء من علماء العربية يحسون بصحة هذه النظرية وإن لم يحاولوا تطبيقها فى تفسير كثير من الظواهر اللغوية . ولكنهم كانوا يشيرون إلى الفكرة فى ثنايا كتبهم ولاسيما فى حديثهم عن الترخيم فى النداء .

ومن آمن بهذه النظرية كل الايمان وطبقها على اللغة الصينية « O. K. Ziph » فى كتابه .

Selected studies of the principle of relative frequency in language .

فالصوت اللغوى إذا شاع استعماله فى الكلام ، كان عرضة لظواهر لغوية ، كان القدماء يسمونها حيناً إبدالا ، وحيناً آخر إدغاماً . هذا وقد يتعرض الصوت الكثير الشيوخ للسقوط من الكلام .

وقد حاولت فى مقال نشر فى مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول ، المجلد الثانى ، تطبيق نظرتى السهولة والشيوخ ، على الأصل

الاشتقاق لما يسمى بحروف العلة في اللغات السامية . وقد جاء في هذا  
المقال مانصه « وصلنا فيما قررناه آنفاً إلى أن اللام والنون والميم تعد  
من الناحية الصوتية أشباهاً لأصوات اللين ، وإلى أن الواو والياء  
أنصاف لأصوات اللين . فهل كان كل من الواو والياء ، في الأصل  
السامي القديم ، أحد الأصوات الثلاثة اللام أو النون أو الميم ؟ » ثم  
جاء في مقال هذا « ولتطبيق نظريتي السهولة والشيوع ، نجد أولاً أن  
الواو والياء من الناحية الصوتية ، أسهل من اللام والنون والميم . ولكن  
الفرق بينهما ليس مما يحتاج إلى جهد عضلي كبير . والذي يمكن أن  
يكون قد برر الانتقال من النطق باللام أو النون أو الميم ، إلى النطق  
بالواو أو الياء ، ليس عنصر السهولة وحده ، وإنما يضاف إليه أثر  
شيوع هذه الاصوات الثلاثة في اللغة العربية . فعلى إذن أن نبين نسبة  
تداول كل من اللام والنون والميم في الكلام العربي . ولقد حضرت  
عدد كل منها في عشرات من صفحات القرآن الكريم ، الذي لا شك  
أنه يمثل أصدق الأساليب العربية ، وقد اتخذت هذه الصفحات كنماذج  
يقاس عليها . ثم استعنت بأهل الرياضة فأجروا إلى تلك العملية الرياضية  
التي تستخدم في علم الاحصاء ، وفي كثير من العلوم الحديثة ،  
لتغنيانا عن استقراء جميع أفراد الأصوات الساكنة في القرآن  
الكريم ، التي تزيد على ثلثمائة ألف من الأصوات . وقد كانت النتيجة  
التي وصلت إليها أن نسبة شيوع اللام ١٢٧ مرة في كل ألف من



الأصوات الساكنة . والميم ١٢٤ والنون ١١٢ والهمزة ٧٢ مرة  
والهاء ٥٦ مرة والواو ٥٢ مرة والتاء ٥٠ مرة والياء ٤٥ مرة والباء  
٤٣ مرة والكاف ٤١ مرة وكل من الراء والفاء ٣٨ مرة والعين ٣٧  
مرة والقاف ٢٣ مرة وكل من السين والdal ٢٠ مرة والذال  
١٨ مرة والجيم ١٦ مرة والحاء ١٥ مرة والخاء ١٠ مرات والصاد  
٨ مرات والشين ٧ مرات والضاد ٦ مرات وكل من الغين والثاء ٥  
مرات وكل من الزاي والطاء ٤ مرات والظاء ٣ مرات.

فتحن نرى من النسب السابقة ، أن اللام والنون والميم تكون  
مجموعة من الأصوات الساكنة ، هي أكثرها شيوعاً في اللغة العربية .  
ولا يبعد أن تكون هذه الحقيقة في كل اللغات السامية ، فمن النظرات  
الخاطفة أثناء قرائتي في العبرية والسريانية أستطيع أن أتنبأ بهذه النتيجة .  
إلى أن جاء في المقال : « نخلص من كل هذا الشرح إلى أن الطور الأول  
لظاهرة الإعلال ، هو تحول اللام والنون والميم إلى ياء أو واو . ولسنا  
نعني أن كل لام أو نون أو ميم ، قد تحولت إلى ياء أو واو ! لأن معنى  
هذا أن اللغة يجب أن تكون خالية من اللامات والنونات والميمات ،  
وهو ما يخالف الواقع . فهناك عوامل خاصة ، وظروف لغوية خاصة ،  
وجدت في بعض الكلمات دون البعض الآخر ، وفي بعض البيئات  
دون البعض ، مما أدى إلى حدوث هذا التغير في بعض الكلمات فقط ،  
وأدى إلى بقاء اللام والنون والميم في كثير من الكلمات . وتلك العوامل  
الخاصة يمكن أن تلخص في كون الصوت منبوراً ، أو خالياً من النبر ،  
وفي طول الصوت ، أو قصره ، وغير ذلك من عوامل نجهلها الآن ،

لبعد العهد بيننا وبين ذلك العصر الذي تم فيه هذا الانقلاب الصوتي .  
وقد يتساءل المرء بعد هذا : هل رويت لنا آثار في اللغة العربية ،  
تؤيد ما نذهب إليه من أن الواو والياء ، كانتا في الأصل ، لاماً أو نوناً  
أو ميماً ؟ والإجابة عن هذا ، يجب البحث والتنقيب في المطولات من  
المعاجم العربية ، عن ألفاظ اشترك معناها ، ولم يختلف لفظها إلا في  
أنا نجد مكان الياء أو الواو منها ، لاماً أو نوناً أو ميماً .

وإني في نظرة عجمي ، عثرت في قاموس المحيط على ما يقرب من  
مائتي كلمة تؤيد ما أذهب إليه . وليس من المعقول أن اشتراك المعنى  
بين كل هذه الكلمات ، كان مجرد مصادفة ، فهي من الكثرة بحيث تدع  
اللغوى يفكر في سر هذا الاشتراك ، ويحاول الكشف عنه . وسأكتفي  
هنا بذكر بعض من الأمثلة التي عثرت عليها .

- (١) وشر الخشبة بالمنشار : إذا نشرها بالمنشار .
- (٢) الوقص : العيب والنقص .
- (٣) اللكنز : الوكنز .
- (٤) وعكه كوعده : دكه ، وفي التراب معكه .
- (٥) الضنك : الضيق .
- (٦) الدائق : الأحرق ، داق دوقاً : حمق .
- (٧) العيس : النوق ، العنس : الناقة .
- (٨) جليخ السيل الوادي : ملأه ، جليخ السيل الوادي اقتلع أجرافه .
- (٩) غطلت السماء : أطبق دجنها ، والليل التبيست ظلمته ، غطا

الليل : أظلم . (١٠) فصي الشيء من الشيء يفصيه : فصله .

(١١) رخم الكلام : لان وسهل ، والرخامى الريح اللينة ، الرخو : اللين ، والرخاء : الريح اللينة .

(١٢) دجا الليل : أظلم ، والدجن : الظلمة .

(٦)

## مجاورة الأصوات

سبق أن أشرنا إلى الظواهر اللغوية ، التي قد تعرض للأصوات فيما يسمى بالمماثلة ( Assimilation ) ، أو المخالفة ( Dissimilation ) . ونزيد هنا أن الدافع الأساسي في الميل إلى المماثلة أو المخالفة هو الاقتصاد في الجهد العضلي أثناء النطق . ولا شك أن فناء صوت في آخر ، تلك الظاهرة التي نسميها بالإدغام ، يترتب عليه دائماً اقتصاد في الجهد العضلي والوصول بالنطق إلى مرماه من أقصر الطرق . فإدغام الثاء في التاء في مثل « لبثتم » ، يوفر علينا انتقال اللسان من مخرج الثاء إلى مخرج التاء ، كما يوفر علينا الجمع بين عمليتين متناقضتين ، في الأولى منهما ، نسمع صغير الثاء التي هي من الأصوات الرخوة ، وفي الثانية نسمع صوتاً انفجارياً للثاء . ووضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى والثنايا ، يختلف في كلا العمليتين : إذ في الأولى يترك فراغاً يتسرب منه الهواء ، وفي الثانية يلتقي بالحنك التقاء كاملاً ينحبس معه الهواء . ولكنا في حالة الإدغام نحتاج إلى وضع واحد للسان ، وإلى عملية واحدة . وفي هذا اقتصاد محسوس في الجهد العضلي .

بل لقد مالت بعض اللهجات العربية القديمة الى التخلص من  
توالي الصوتين المتماثلين في حالة الادغام ، وأضافت الى سهولته سهولة  
أخرى ، بأن قلب أحد المدغمين الى صوت لين طويل ، أو ما يشبهه ،  
كما تقدم شرح ذلك في عملية المخالفة ( Dissimilation ) .

ظاهرة المماثلة أو المخالفة تهدف دائماً إلى الاقتصاد في الجهد  
العضلي ، اقتصاداً غير إداري ، بل يحدث دون أن يشعر المتكلم  
بحدوثة ، ودون أن يكون له قصد فيه .

وقد يكون الصوت في ذاته سهل النطق ، وهو مفرد لا يجاور غيره  
من الأصوات ، فإذا جاور غيره ، أو وجد في موضع خاص من الكلمة  
استلزم النطق به في هذا الموضع الخاص جهداً عضلياً أكبر ، مما يؤدي  
إلى قلب هذا الصوت إلى صوت آخر . ويمكن إرجاع كثير من  
التطورات الصوتية في لهجات الكلام قديمها وحديثها ، إلى الميل إلى  
الاقتصاد في الجهد العضلي . فتفخيم الباء في مثل « بطل » تلك الظاهرة  
التي نهى عنها القراء والتي شاعت في لهجات الكلام منذ العهود  
الإسلامية الأولى ، ليس في الحقيقة إلا اقتصاداً في وضع اللسان مع  
الباء والطاء ، وانسجاماً بين صوتي اللين مع الباء والطاء .

وكذلك انقلاب المهموس إلى مجهور لمجاورته لصوت آخر مجهور  
هو في الواقع اقتصاد في عملية المزمار الذي يفتح مع المهموس ، ويضيق  
مع المجهور ليتذبذب الوتران الصوتيان .

ومثل هذا يمكن أن يقال في قلب الباء ميماً إذا وليها ميم ، كما في

« اركب معنا » لأن الهواء مع الباء يتخذ مجراه من الفم ، ولكن مع الميم يتخذ مجراه من الأنف ، هذا إلى ما في الباء من صفة الشدة ، فإذا قلبت الباء إلى ميم اقتصدنا جهداً عضلياً ملبوساً .

وإذا استعرضنا أمثلة المماثلة التي سبق شرحها ، نستطيع أن نستنبط منها قوانين عامة ، للتطور الصوتي في اللغة العربية ، على أن قلة الأمثلة التي رويت لنا في القراءات القرآنية ، تجعل تلك القوانين قابلة للنقص في بعض تفاصيلها ولعل بحوث المستقبل تكفل لنا تلافياً مثل هذا النقص .

وتلك القوانين العامة هي :

( ١ ) كلما التقى صوتان أحدهما مهموس والآخر مجهور ، فلا يد من تغيير أحدهما ، ليصبح الصوتان إما مهموسين أو مجهورين . فصيغة « افتعل » من الفعل « زاد » هي « ازداد » بدلا من « ازتاد » . والتقاء التاء بالذال في مثل « يلهث ذلك » قلب التاء إلى صوت مجهور وهو الذال ، وهكذا يتم الادغام في هذا الموضع . وقد أصبح الصوتان في كل من المثالين السابقين مجهورين . وكذلك التقاء الدال بالسين في مثل « عدس » قلب الدال في النطق العاصي ، إلى تاء ، فأصبح الصوتان مهموسين .

( ٢ ) تميل الأصوات العربية في مجاورتها إلى الانسجام في صفتي الشدة والرخاوة . فإذا تجاوز صوتان ، أحدهما شديد والآخر رخو ، غلب أن تتغير صفة أحدهما ، ليصبح الصوتان شديدين أو رخوين .

فإدغام الذال في الدال في مثل « إذ دخلت جنتك » ، هو في الحقيقة جعل الصوتين شديدين . والعكس في مثل « ولقد ذرأنا » ، لأن الإدغام هنا قد جعل الصوتين رخوين .

( ٣ ) الانسجام بين صوت الفم وصوت الأنف إذا التقيا . فالتقاء الباء بالميم ، أو الميم بالباء ، يغلب أن ينتج لنا إما باءين أو ميمين فالحالة الأولى مثل « اركب معنا » ، أما الحالة الثانية . فلم يعترف بها القراء . فقد أوجبوا إخفاء الميم مع الباء فقط ، وحذروا من إدغامها فيها رغم وجودها في بعض لهجات الكلام إذ قد نسمع بعض الناس يقولون في « امبارح » « ابّارح » .

( ٤ ) قد يستلزم الانسجام بين الأصوات المتجاورة ، والاقتصاد في المجهود العضلي حين النطق بها ، انتقال مخرج أحدهما من مكانه . وهنا يجب أن نقسم المخارج الصوتية إلى مخارج كبرى يحدث بينها الانتقال .  
١ - أصوات شفوية كالميم والباء والفاء .

ب - أصوات لسانية وهذه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :  
( ١ ) المجموعة الكبرى وأفرادها : الذال . الشاء . الظاء .  
الدال . الضاد . التاء . الطاء . اللام . النون . الراء .  
الزاي . السين . الصاد .

( ٢ ) أصوات وسط الحنك وهي : الجيم والشين .  
( ٣ ) أصوات أقصى الحنك وهي : الكاف والقاف .  
ح - أصوات حلقية وهي : الغين . الخاء . العين . الحاء .  
الهاء . الهمزة .

فالقسم الأول وهو الأصوات الشفوية ، والقسم الأخير وهو الأصوات الحلقية ، لا ينتقل صوت من أصواتهما إلى مخرج آخر ، ولكن ينتقل غيرها إليها . وعلى هذا فتكاد تنحصر عملية انتقال الأصوات من مخرجها ، في الأصوات اللسانية فمنها ، قد تنتقل «النون» إلى مخرج « الميم » وذلك إذا وليها باء كما في « من بعد » ، ومنها قد تنتقل «الهاء» إلى مخرج « الفاء » ، كما في [ جدث = جدف ] . وهذا النوع من الانتقال يمكن أن يسمى بالانتقال الأمامي .

هذا وقد ينتقل بعض أفراد هذه الأصوات اللسانية ، انتقالاً خلفياً ، أي إلى الأصوات الحلقية ، وهو ما حدث في تطور القاف العربية إلى همزة في لغة الكلام بمصر .

أما انتقال الأصوات اللسانية بعضها إلى بعض فهو الشائع في اللغة العربية . ونلاحظ بصفة عامة أن انتقال الصوت فيها يقتصر على الانتقال من قسم من أقسامها ، إلى ما يليه من تلك الأقسام الثلاثة . فبعض أفراد مجموعة الكبرى ، قد تنتقل من مخرجها إلى أصوات وسط الحنك ، والعكس . وبعض أفراد أقصى الحنك ، قد تنتقل من مخرجها إلى أصوات وسط الحنك ، أو العكس .

وانتقال الصوت من المجموعة الكبرى إلى أصوات وسط الحنك يقال خلفي ، ولكن عكسه انتقال أمامي . وكذلك انتقال الصوت من أقصى الحنك إلى وسطه ، انتقالاً أمامي ، ولكن عكسه خلفي .

ولا نكاد نلاحظ في الأمثلة القرآنية التي سبق شرحها انتقالاً أمامياً

إلا في مثل إدغام « الجيم في التاء » ، نحو [ ذى المعارج تعرج ] ، وهو نادر مستقبح عند جمهور القراء . فقد روى عن أبي عمرو الداني أنه قال إن إدغام الجيم في التاء قبيح . والذي يمكن أن يبرر هذا الانتقال هو كسرة « الجيم » ، التي هي صوت لين أمامي ، فهي تجذب الصوت الساكن إلى الأمام ، فينتقل مع الكسرة إلى أول اللسان الذي هو مخرجها أيضاً (١) .

واللهجات العربية الحديثة لم تفرق بين انتقال أمامي وانتقال خلفي . فكلاهما ورد في لهجات الكلام ، بل ربما كان الانتقال الأمامي فيها أكثر . وقد يحدث أن ينتقل الصوت في لهجات الكلام من أقصى الحنك إلى المجموعة الكبرى ، مثل قلب الكاف إلى التاء ، وهو شائع كثير وقد سبق أن شرحناه . أما ما روى في بعض اللهجات العربية القديمة من قلب التاء كافاً ، في مثل : « طالما عصيكا » ، فهو مشكوك فيه ، ولعل الكاف هي الأصل في تاء الفاعل ، لأن حركة طرف اللسان أسهل من حركة أقصاه .

لم يبق بعد هذا إلا أن ننبه إلى أن أفراد المجموعة الكبرى هي التي يغلب أن يصيبها التطور ، وتسكاد تنحصر في أفرادها ظواهر الإدغام والابدال .

وإذا استعرضنا أمثلة الإدغام في القرآن الكريم كما رواها القراء وجدنا سبعة منها تشتمل على انتقال الصوت من مخرجه ، والانتقال

(١) انظر صفحة ٣٨ في معنى الصوت الأمامي بين أصوات اللين .



فيها جميعاً خلفي ، إذ قد انتقل الصوت من بين أفراد المجموعة الكبرى إلى أصوات وسط الحنك . وهذه الأمثلة السبعة هي :

- ( ١ ) نضجت جلودهم . ( ٢ ) بأربعة شهداء . ( ٣ ) حيث شئتما .
- ( ٤ ) واشتعل الرأس شيباً . ( ٥ ) لقد جاءكم . ( ٦ ) قد شغفها حباً .
- ( ٧ ) وإذ جئتم .

والانتقال في الأمثلة الأربعة الأولى ، يمكن أن يبرره وجود « الضم » ، الذي هو صوت لين خلفي يميل إلى اجتذاب الصوت الساكن معه إلى الخلف . فكل من « الجيم » في « جلودهم » ، و « الشين » في « شهداء » ، و « التاء » في « حيث » ، و « السين » في « الرأس » ، صوت ساكن مشكل بالضم .

أما الانتقال الخلفي في الأمثلة الثلاثة الأخرى فيعند من الناحية الصوتية ظاهرة غريبة ، ولا سيما في « إذ جئتم » .

## ( ٧ )

### انتقال النبر

لاحظ المحدثون في مقارناتهم اللغوية ، وتطور الأصوات ، أن الانتقال موضع النبر في الكلمة أثراً يبدأ فيما قد يصيب أصواتها من تطور . وبمقارنة بعض الكلمات في الإنكليزية الحديثة بما كانت عليه في قديم الزمن ، لاحظوا أن انتقال النبر في الكلمة قد أدى إلى انضمارها

في بعض الأحيان . والأثر الذي يحدثه انتقال نبر الكلمة ، انتقالاً  
خلفياً ، يسكاد ينحصر في انكماش الكلمة ، وسقوط مقطعها الأخير ،  
كـله أو بعضه .

فاذا طبقت ملاحظات المحدثين ، حول انتقال النبر ، على ما أصاب  
اللغة العربية من سقوط حركات الإعراب في لهجات الكلام ، استطعنا  
أن نفسر هذه الظاهرة تفسيراً علمياً مقبولاً . فهو وضع النبر في الكثرة  
الغالبة من كلمات اللغة العربية هو المقطع الذي قبل الأخير . ففي  
« يَكْتُبُ » ؟ « مستفهم » نجد النبر على المقطع [ ت ] في يكتب ،  
وعلى المقطع [ هـ ] في مستفهم .

وقد حدث في لهجات الكلام أن انتقل النبر إلى المقطع الذي  
قبله ، إذ أصبح في الكلمتين السابقتين على [ يَكْ ] في يكتب ، وعلى  
[ تَ ] في مستفهم . وترتب على هذا الانتقال أن تخاصت الكلمات من  
أواخرها ، وبذلك سقطت حركات الإعراب .

غير أننا قد نجد بعض كلمات لم يصحها أي تغير في موضع  
النبر ، في تطورها . ومثال ذلك الأفعال الثلاثية الماضية ، مثل [ كتب  
سمع ] ، فالضغط في مثل هذه الكلمات على المقطع الأول ، وهو [ كَ ]  
في المثل الأول ؟ [ سَ ] في المثل الثاني ، سواء نطق بالكلمتين نطقاً  
فصيحاً أو نطقاً عامياً . ومع هذا فقد سقطت الفتحة الأخيرة في مثل  
هذه الأفعال في لهجات الكلام . وليس لهذا من سر يمكن أن يورده  
سوى القياس ، والرغبة في اطراد الظاهرة الواحدة . لأن موضع النبر

في الأفعال الثلاثية الماضية هو المقطع الثالث ، حين نعد المقاطع من آخر الكلمة . وهذا الموضع كما أشرنا آنفاً قليل الشيوع ، وإنما الكثرة الغالبة في موضع النبر العربي هو أن يكون على المقطع الذي قبل الأخير . وعلى هذا فقد قيس القليل على الكثير الشائع ، ومالت كل الكلمات العربية إلى التخلص من أواخرها ، حين انتقل موضع النبر في الكثرة الغالبة منها . وليس هذا القياس إرادياً ، يتم بتواضع هيئات تصطلح عليه ، وإنما هو كقياس الطفل لبعض الصبيغ التي لم يسمعها ، قياساً على ما يعرفه من صبيغ . فالطفل في بعض الأحيان يقول [ الباحة الأحمر ] ، فيصوغ مؤنث « أحمر » بزيادة تاء التأنيث ، لأنه الكثير الشائع في صياغة المؤنث من الصفات .

## الفصل العاشر

### أثر العادات الصوتية في تعلم اللغات الأجنبية<sup>(١)</sup>

تتكون عند المتكلمين بأية لغة من اللغات صفات كلامية ، يتميزون بها عن غيرهم من الشعوب . وتقوى تلك الصفات عند الفرد ، وترسخ قدمها كلما تقدمت به السن . فهي في الأطفال مرنة قابلة للتغير والتشكل ، ولكنها في الكبار صعبة التغير وإن لم يكن هذا مستحيلا .

وتلك الصفات الكلامية يسميها المحدثون عادات لغوية ، لأنها بعد أن تنتهي مرحلة خاصة في نمو الطفل ، تصبح عنده ككل العادات المكتسبة ، لا اختيار له في تكوين أية صفة من تلك الصفات الكلامية . فليس للبرء اختيار في كيفية النطق بصوت من أصوات لغته ، أو في كيفية تكوين الجمل في تلك اللغة ، فالمسألة ليست إلا مجرد تقليد . فقد سمع الأبناء آباءهم فقلدوهم ، كما أخذ الآباء والأجداد عن الأجيال قبلهم . وهكذا تتوارث الأجيال تلك الصفات الكلامية ، دون أن يكون لأي جيل من الأجيال ، اختيار أو إرادة في تكون المظاهر اللغوية على نحو خاص .

---

(١) هذا الفصل مقتطف من سلسلة محاضرات ألقاها المؤلف : الأولى في معهد التربية للمعلمين ، والثانية في دار العلوم ، والثالثة في كلية الآداب بجامعة فاروق الأول .

على أنه لو اقتصر الأمر على مجرد التلقّي والتقليد ، لأدى هذا إلى أن لغة الناس في العصر الحاضر ، تشبه تمام التشبه لغة أسلافهم في العصور الغابرة . ولكننا نعلم أن هناك اختلافاً كبيراً بين لغة السلف والخلف . ومرجع هذا الاختلاف هو التطور المستمر للغات البشر .

فعوامل التطور اللغوي التي سبق أن أشرنا إليها ، يجب أن تضاف إلى الوراثة اللغوية ، لنستطيع تفسير أي مظهر من المظاهر اللغوية .

فالمرء إذن يتكلم وينطق بأصوات خاصة ، لها مميزاتها ، ويكون جملة بطريقة خاصة ، لها قواعدها . ويختلف هذا من لغة لأخرى ، وهو لا يشعر شعوراً إرادياً ، ولا يفكر حين الكلام في كيفية النطق بأصواته ، أو تكوين جملة ، بل يصدر كل هذا عنه دون تكاف أو تعمد . وذلك هو ما سماه القدماء التكلم بالسليقة .

أما الصفات الكلامية التي قد تحتاج إلى تفكير وقصد ، والتي تختلف باختلاف الأفراد في شعب من الشعوب ، فليست من موضوع بحثنا ، ولا يمكن أن تسمى عادات لغوية . فإذا صبغ أسلوب كاتب من المكاتب بصبغة خاصة ، أو بدا على أحد المتكلمين صفة خاصة في كلامه لا يشترك معه فيها أحد من أفراد شعبه ، فمثل هذا يعد صفات فردية للمرء اختياراً في تكوينها .

والذي يعنيننا هنا ، هو تلك الصفات العامة التي يشترك فيها جميع أفراد بيئة من البيئات اللغوية ، والتي لا اختيار لهم في تكوينها ، بل اكتسبوها اكتساباً ، ونمت عندهم ، فتكونت منها عاداتهم اللغوية . ولا

بد من مرور أجيال قبل أن يصيب تلك العادات اللغوية أى نوع من  
التغير أو التطور .

ومظاهر العادات اللغوية ثلاثة : ( ١ ) بنية الكلمة Morphology  
( ٢ ) تكوين الجملة Syntax ( ٣ ) الصفات الصوتية Phonology .  
ويعني هذا المظهر الثالث ، وهو المظهر الصوتي ، وهذا المظهر يكاد  
يكون أوضح مظهر للعادات اللغوية ، وأكثرها رسوخاً عند الأفراد  
فهو أول ما يسترعى أسماعنا حين نريد تعلم لغة من اللغات ، وهو آخر  
ما نستطيع تقليده في تعلمها . ويتضمن المظهر الصوتي مخارج الأصوات ،  
وقد تقدم شرح اختلافها من لغة لأخرى . وتفاعل المجهورات  
والمهموسات حين تتوالى في كلمة واحدة أو كلمتين ، وقد تقدم شرح  
ما يترتب على مجاورة الأصوات بعضها لبعض من تطور . ومثل هذا  
التفاعل يكاد يخضع في كل لغة إلى قانون خاص ، له أثره البين في تعلم  
اللغات الأخرى .

كما يتضمن المظهر الصوتي أمراً آخر ، له أثر واضح في تعلم اللغات ،  
ويختلف من لغة لأخرى ، ويخضع في كل منها لقانونه الخاص ، وذلك  
هو « النبر » الذي شرحناه آنفاً حين أشرنا إلى مواضع النبر في اللغة  
العربية . وكذلك يتضمن المظهر الصوتي موسيقى الكلام التي يسميها  
المحدثون ( Intonation ) .

وللمصريين كسائر الأمم عادات لغوية خاصة بهم . وتلك العادات  
اللغوية المصرية ، كونها لغة كلامنا ، التي لقنها الطفل في مراحل نموه ،

وتكلم بها غلاماً فشاباً فرجلاً . فهي اللغة التي تكلم بها سليقة ، وهي من أجل ذلك اللغة التي كونت في نطقه وفي كلامه تلك الصفات الكلامية التي يتميز بها المصري ، والتي جعلت له طابعاً خاصاً ، له أثره البين في تعلمه أية لغة من اللغات الأخرى .

ورغم تعدد اللهجات المصرية ، فإنها تشترك في كثير من العادات اللغوية . ولهذا يمكن أن نعد المصريين على العموم أصحاب عادات لغوية ، متميزة عن غيرهم من الشعوب . ولقد تكونت لنا لغة نموذجية ، أخذت تقتحم على اللهجات الإقليمية معاقليها ، وتصرعها واحدة بعد الأخرى . وتلك اللغة استمدت الأكثرية الغالبة من مظاهرها ، من اللهجة القاهرية ، أو طبعة المتعلمين في القاهرة ، لأنها العاصمة التي يتطلع إليها دائماً أبناء الأقاليم ، محاولين تقليد أهلها في معظم المظاهر الاجتماعية ، ومن بينها لغة الكلام . ومهما يكن من الأمر فاللهجات المصرية ، وعلى رأسها اللهجة القاهرية ، هي التي كونت فينا تلك المظاهر اللغوية التي أصبحت عندنا بمثابة العادات المكتسبة ، لاسيما لنا عليها ، ولا اختيار لنا في تسكويتها ، بل لقناها تلقيناً ، وأصبحنا نتكلم بها سليقة .

ولم تدرس اللهجات الإقليمية في مصر دراسة علمية منظمة حتى الآن ، وأرجو ألا يمر زمن طويل قبل أن نرى خريطة لبلادنا ، قسم فيها القطر المصري إلى مناطق لغوية ، بعد دراسة تلك اللهجات دراسة علمية صحيحة .

فدراستي هنا لما أسميه بالعادات اللغوية في مصر ، مبنية على اللهجة النموذجية التي انتظمت القاهرة والمدن الكبرى . ولقد تكشف لي عدة نواح مشوقة في أثناء دراستي للهجة النموذجية المصرية ، رغم أن دراستي ليست إلا بدءاً في ميدان من الدراسة طويل ، يجب أن نعتني به في المعاهد المصرية .

فدراسة اللهجات الحديثة إذا نظر إليها من الناحية الأكاديمية البحتة ، كانت من أهم المصادر لدراسة اللهجات العربية القديمة . فاللهجات الحديثة ليست إلا نتيجة تطور للتقديم منها . وقد خضع هذا التطور لظروف البيئة المصرية ، ولغتها التي كانت تنتظم البلاد قبل أن تهاجر إليها اللهجات العربية . وقد كون الصراع الذي قام بين اللهجات العربية الغازية ، واللهجات المغزوة ، النواة الأولى في عاداتنا اللغوية التي تطورت مع توالي السنين ، حتى أصبحت على الصورة التي نراها الآن . ولكن اللهجات الحديثة قد احتفظت لنا ببعض خصائص اللهجات العربية القديمة ، فلم تستطع يد الزمن أن تبدل منها . وتلك الصفات التي احتفظت بها ستكون لنا خير عون في الكشف عن خصائص اللهجات العربية القديمة التي تخبط في روايتها مؤلفو العرب ، بل لم يرووا عنها إلا النادر ، متأثرين بعوامل سياسية واجتماعية .

ومن الناحية العملية البحتة يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن عاداتنا اللغوية الحاضرة ، تكون مرحلة تاريخية في لغتنا . وينبغي لهذا أن



توصف وصفاً علمياً دقيقاً ، بل وتسجل نماذج منها فوق اسطوانات  
تحفظ كسجلات تاريخية .

ومن الناحية العملية البحتة أيضاً ، تعدّ عاداتنا اللغوية ، الأساس  
الذى نبني عليه تعلم أية لغة من اللغات الأجنبية . وأساتذة التربية في  
مصر لن يستطيعوا أن يصفوا لنا الطريقة المثلى لتعلم اللغات الأجنبية ،  
مالم يمدّهم رجال اللغة بنتائج دراستهم لعاداتنا اللغوية .

فمن الضروري إذن دراسة عاداتنا اللغوية لتسهيل لنا مهمة تعليم  
اللغات الأجنبية في مصر . ومعلمونا لا يكادون يعرفون شيئاً عنها .  
والمدرس الآن يتبع طريقة ارتجالية في إصلاح أخطاء تلاميذه ، معالجاً  
الخطأ في كل كلمة أو صوت على انفراد ، غير مدرك أن هناك قانوناً  
عاماً ، إذا عرفه وضع أصبعه على السر في معظم ما يمكن أن يزل فيه  
تلاميذه . فتلاميذنا ينطقون اللغات الأجنبية بل حتى العربية الفصحى  
أحياناً ، بعد أن يشككوها بما يناسب عاداتهم الكلامية التي تأثروا بها  
في كل بيئاتهم ، حتى بين جدران المدرسة . والمدرس مصرى كان أو  
أجنبياً لا يفتن لسر أخطاء تلاميذه .

ولست بمستطيع هنا التحدث بإسهاب عن الصفات الكلامية التي  
تتميز بها المصريون ، بل سأكتفى بضرب أمثلة من اللغة الإنجليزية ،  
شارحاً مظنة الخطأ حين ينطق بها المصري ، ومبيناً أن مرجع هذا  
الخطأ ، إنما هو تأثر المصري بعاداته اللغوية . على أنى في أمثلى سأكتفى  
بشرح الأخطاء الصوتية في تعلم اللغة الإنجليزية .

. وقد التقطت كثيراً من الكلمات التي وردت في الكتاب المقرر على السنة الثالثة الابتدائية . والذي يسمى Reader One ، وسأشرح هنا نوع الخطأ الذي يمكن أن نسمعه من الطفل المصري حين ينطق بهذه الكلمات ، والسبب في هذا .

### ( أولاً )

حين نقارن العادات الصوتية في مصر بعادات اللغة الإنجليزية ، نجد أن الإنجليزية تشتمل على أصوات ساكنة ، لا نظائر لها في لغة كلامنا . وتلك الأصوات الساكنة هي أول ما يعترض الطفل المصري من صعوبات في النطق ببعض الكلمات الإنجليزية . وتلك الأصوات هي : ( P ) : وهذا الرمز يشير إلى مهموس الباء . لأن الباء في كلامنا مجهزة دائماً ، فإذا همست ، أدى همسها إلى ذلك الصوت الإنجليزي الذي يرمز إليه بالرمز ( P ) . فإذا عرف المدرس هذا ، وحاول أن يعلم تلاميذه كيف يهمس بالباء المصرية ، دون أن يلجأ إلى الاصطلاح العلمي بطبيعة الحال ، أمكنه التغلب على الصعوبة التي تلازم الطفل المصري في نطقه الإنجليزية في جميع مراحل التعلم تقريباً .

( V ) : ويرمز هذا إلى مجهور الفاء عندنا . إذ لا فرق بين هذا الصوت الإنجليزي والفاء عندنا ، إلا في أن الفاء صوت مهموس ، نظيره المجهور هو ( V ) . فالعملية هنا عكسية ، أي يجب أن يتعلم أطفالنا كيف يجهرون بصوت الفاء في كلامهم .

( th ) : هذا الرمز المركب يرمز إلى الصوتين العربيين : الذال

والثاء . وقد سبق أن شرحنا أن هذين الصوتين قد تطورا في لغة الكلام ، إذ انتقل مخرجهما إلى الورا قليلا . وينطق بهما الآن في بعض الأحيان زايا وسينا . وهو ما يميل إليه الطفل المصري في نطقه للغة الإنجليزية . والتغلب على هذا يستخدم لنا غرضين : هما أن يتعلم الطفل كيف ينطق بهذين الصوتين في العربية الفصحى ، وفي الإنجليزية . ولا فرق بين الذال والثاء إلا في أن الأول مجهوزة ، والثانية نظيرها المهموس . فاذا علم الطفل بطريقة عليية ، كيف ينطق بهما نطقاً صحيحاً ، سلم كلامه بالإنجليزية من صفة تلازمه مرحلة طويلة في تعلمها .

(J) : هذا الرمز يشير إلى صوت حسي كبير الشبه بالجميم العربية الفصيحة ، ولهذا يشق على القاهريين ، لأن الجميم العربية المعطشة قد تطورت في كلامهم إلى الجميم القاهرية التي سبق شرحها . ومعركة المدرس لمخرج كل من الصوتين ، وطريقة النطق لكل ، يسهل عليه مهمة تعليم الأطفال النطق بهذا الصوت . وبهذا يستخدم غرضين : تعليمهم النطق بصوت عربي فصيح ، وبصوت إنجليزي كثير الشبوع في اللغة الإنجليزية .

(R) : يضعف تكرار الراء في اللغة الإنجليزية إلى حد لا تكاد نسمع معه في معظم لهجاتها . ولهذا يجب التفرقة بين الراء في كلامنا والراء في معظم اللهجات الإنجليزية .

(L) : اللام في كلامنا دائماً مرققة لا غلظ فيها ، ولهذا دعت كتب القراءات إلى تغليظها في المواضع التي سبق شرحها . أما اللام الإنجليزية فهي مغلظة إذا كانت متطرفة أو وليها صوت ساكن

مثل : [ field . Well ] . ولكنها مرققة في غير ذلك . ويصعب عادة على الطفل المصرى تغليظ اللام ، بأن يصعد اللسان معها نحو الحنك الأعلى كما فى الأصوات المطبقة .

## ( ثانياً )

تختلف القواعد التى يخضع لها النبر فى لغة كلامنا عنها فى اللغة الإنجليزية ، وقد أدى هذا إلى زلل الطفل المصرى فى نطق كثير من الكلمات الإنجليزية . فالنبر فى لغة كلامنا موضع من ثلاثة لأنه يقع على المقطع الأخير من الكلمة إذا انتهت بصوتين ساكنين مثل : [ نزلت . فتحت ] ، أو كان المقطع الأخير مكوناً من :

صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن  
مثل : [ كتاب . رمضان ] .

فاذا لم يكن المقطع الأخير على هذا النسيج ، غلب أن يكون النبر على المقطع الذى قبل الأخير مثل السكثرة الغالبة فى لغة كلامنا . أمثال : [ يعلم . يلعب . يحارب . منزل . ملك . مجتهد ] .

ففى مثل هذه الكلمات نلاحظ أن النبر يقع على المقطع الذى قبل الأخير ، وهو فى الكلمات السابقة على الترتيب :

[ عل . يل . حا . من . م . ت ] .

ولا بد أن يكون المقطع الذى قبل الأخير حين يقع النبر عليه :

( ١ ) إما مقطعاً ساكناً ، كما فى « يعلم » .

(٢) أو مقطوعاً متحركاً ، وصوت اللين فيه طويل كما في «يحارب» .  
 (٣) أو مقطوعاً متحركاً ، وصوت اللين فيه قصير ، بشرط ألا يسبق بمقطع آخر متحرك أيضاً ، كما في : [ ملك . مجتهد ] .

أما إذا كان المقطع الذي قبل الأخير متحركاً ، وصوت اللين فيه قصير ، وقبله مقطع متحرك أيضاً ، فيكون النبر على المقطع الثالث حين نعد المقاطع من الخلف مثل : عنبه . بلحة . عجلة .  
 فالنبر في هذه الكلمات على المقاطع التالية بالترتيب :

ع . ب . ع

هذا هو الموضع الثالث للنبر في لغة الكلام عندنا ، وهو قليل الشيوع نسبياً .

فالنبر عندنا أحد مواضع ثلاثة ولكل شروطه : فهو على المقطع الأخير من الكلمة بشرط أن يكون هذا المقطع أحد النسيجين التاليين :  
 (١) صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان .  
 (٢) صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن .  
 فإذا لم يكن المقطع الأخير من هذين النسيجين ، كان النبر على المقطع الذي قبل الأخير بشرط أن يكون نسيجه واحداً من الأحوال الآتية :

- (١) صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن .
- (٢) صوت ساكن + صوت لين طويل .
- (٣) صوت ساكن + صوت لين قصير [ غير مسبوق بمثله ] .

ولكننا نرى النبر على المقطع الثالث من آخر الكلمة ، حين يكون هذا المقطع والذي بعده من النسيج التالي :

صوت ساكن + صوت لين قصير

وعلى هذا فالنبر في الكلمة المصرية قد يكون على المقطع الأخير بشروط خاصة ، فإذا لم تتوفر هذه الشروط ، كان النبر على المقطع الذي قبل الأخير بشروط خاصة كذلك ، فإذا لم تتوفر هذه كان النبر على المقطع الذي قبله .

ويرمز للنبر في كتب الفوناتيكا برمز خاص ، يوضع عادة على صوت اللين من المقطع المنبور في الكلمة الانجليزية « Torment » التي يختلف استعمالها اسماً أو فعلاً باختلاف موضع النبر ، تكتب حين تكون اسماً « Tòrment » ، وحين تكون فعلاً « Tormént » .

وقد ورد في كتاب السنة الثالثة الابتدائية كلمات انجليزية تنتهي بصوتين ساكنين ، ولهذا يميل الطفل المصري إلى نبر المقطع الأخير منها كما تعود في عادات لغته الكلامية . فهو ينطق بالكلمات الآتية هكذا :

Youngést , Happiést , Hundréds , Gardenérs

أى أنه يجعل النبر على المقاطع الأخيرة وهي على الترتيب :

ést , ést , réds , nérs

مخالفاً لهذا الموضع الحقيقي للنبر في هذه الكلمات الانجليزية . والطفل لم يعد في عمله هذا أن تأثر بموضع النبر في عاداته اللغوية .

### (ثالثاً)

يستحيل على نسيج الكلمة في اللهجة المصرية ، أن يبدأ بصوتين ساكنين ، كما يستحيل أن يتوسط نسيجها ثلاثة أصوات ساكنة متوالية وأن تنتهى بمثل هذا .

فالكلمة في لهجة كلامنا تبدأ بصوت ساكن واحد ، ولا يتوسطها أكثر من صوتين ساكنين متوالين ، كما لا تنتهى بأكثر من صوتين ساكنين متوالين أيضاً .

فإذا صادف الطفل المصرى كلمة انجليزية تبدأ بصوتين ساكنين ، أو يتوسطها ثلاثة أصوات ساكنة متوالية ، تعثر في النطق بمثل هذه الكلمات ، لأنها تخالف نسيج الكلمة في لغته . ونراه يحاول التغلب على هذا ، بزيادة في مقاطع الكلمة الانجليزية فمثلاً قد يقول في :

child , bread , grandfather , burnt  
على الترتيب :

teschild , bered , grandefather , burnet

### (رابعاً)

ليس بين مقاطع الكلمة المصرية مثل النسيج التالى :

صوت لين طويل + صوتان ساكنان

ولكن مثل هذا النسيج كثير شائع في اللغة الانجليزية . ولهذا يتعثر لفل المصرى حين يصادف مثل هذا النسيج في كلمة انجليزية . ويحاول

الطفل التغلب على هذه الصعوبة بأن يقلل من طول صوت اللين فهو يقول في:

(١) [ne:md] named — [la:mp] lamp

على الترتيب :

[nemd] — [lamp]

فإذا ولي صوت اللين الطويل ثلاثة أصوات ساكنة ، كانت الصعوبة أكبر كما في [a:sk] asks . ففي مثل هذه الحالة يقلل الطفل المصرى من طول صوت اللين ، ويضيف صوت لين قصير قبل الصوت الساكن الأخير ، وبذلك يزيد مقاطع الكلمة . فهو يقول في مثل هذه الكلمة . [ask]

### ( خامساً )

التجانس بين الاصوات المجهورة والمهموسة حين تتوالى من ضروريات لغة الكلام عندنا . فإذا اجتمع صوتان أحدهما مجهور ، والآخر مهموس ، مالت السنتنا إلى قلب أحد الصوتين بحيث يصبح الصوتان ، إما مهموسين أو مجهورين . وليس من الضروري أن يتوالى الصوتان في كلمة واحدة ، بل قد يكون تواليهما في كلمتين شديتى الاتصال إحداهما بالآخرى ففي مثل [big tree] قد اجتمعت الجيم والتاء في كلمتين ، والصوت الأول وهو الجيم مجهور ، فى حين أن الثانى وهو التاء مهموس ، لهذا يميل الطفل المصرى فى مثل هذه الحالة ، إلى قلب الأول إلى نظيره المهموس وهو الكاف ، ليصبح الصوتان المتواليان مهموسين

---

(١) الكلمات التى بين الأقواس مكتوبة بالرسم الفوناتيكي .



ولهذا قد نسمع مثل هذه العبارة في فم الطفل المصرى [ bik tree ] وهو نوع من التأثير الرجعى الذى سبقت الإشارة إليه . وهو مطرد فى كلامنا نلاحظه حتى فى نطقنا لبعض الكلمات العربية أحياناً ، إذ نسمع كثيراً من المصريين ، يقولون فى كلمة « أسباب » « أزباب » ، ويقولون « أكبر » « أجبر » . وليس لهذا من سر سوى ميلنا إلى الانسجام ، من همس الأصوات وجهرها ، بحيث لا يلتقى فى الكلمة إلا مهموسان ومجهوران . وعلى هذا إذا نظرنا إلى مثل الكلمة الانجليزية Placed التى وردت فى مقرر السنة الثالثة الابتدائية ، نجد أن الطفل المصرى يتعثر فيها من نواح عدة :

أولاًها : أنه يجهر بالصوت (P) فتصبح (B) .

ثانيها : أنه يقلل من طول صوت اللين بعد اللام ، لأنه قد وليه وتان ساكنان .

ثالثها : أن هذين الصوتين المتواليين ، أولهما مهموس وثانيهما ور ، ولذلك يجهر الطفل المصرى بالمهموس .

رابعها : أنه قد يصعب عليه البدء بصوتين ساكنين :

إكاه قد نسمع هذه الكلمة فى السنة أبنائنا [ Blezd ] أو [ Belezd ] .



تلك هى أمثلة ، أردت بها إيضاح مانحن بصددده ، من أنه لا بد من قلة الأساس الذى نبني عليه تعلمنا للغات الأجنبية ، وهو عاداتنا وتربية ، والقوانين التى تخضع لها . وفى مدارسنا قد تعالج تلك الأخطاء

علاجاً فردياً ، وقد تهمل فيشب عليها المتعلم منا ، فإذا رحل إلى بيئته اللغة الأجنبية ، وبدأ يتحدث أمامهم ، كان موضع السخرية أو الرثاء من أهل اللغة .

ويستطيع معلم بعد دراسة عاداتنا الصوتية أن يحكم على نوع الخطأ الذي يمكن أن يزل فيه الطفل المصري بمجرد النظر إلى الكلمة . فإذا كتبت أمامه أية كلمة من أية لغة من لغات العالم ، كتابة فوناتيكية بطبيعة الحال ، استطاع القول في الحال إن الطفل المصري حين ينطق بهذه الكلمة يغلب أن يتعثر في موضع كذا وكذا ، فتصدق نبوءته بعد تجربة النطق بها عند أطفالنا .

هذا وأسهل اللغات على المصري هي أقربها شبيهاً بعاداتنا اللغوية . وكلما تقاربت العادات اللغوية بين لغتين ، سهل على أهل إحدى هاتين اللغتين ، تعلم الأخرى والنطق بها نطقاً صحيحاً . فيجب إذن للحكم على سهولة تعلمنا إحدى اللغات الأجنبية ، أن نقارن عاداتنا اللغوية بعادات تلك اللغة ، من كل ناحية ، فنزن الفروق بين اللغتين ، من حيث الأصوات ، وبنية الكلمات ، وتركيب الجمل . وعلى هذه الأسس فقط يكون الحكم صائباً .

( تم الكتاب )

## الخطأ والصواب

(١) « صفحة ٤ سطر ٣ ، ٤ » تنقل كلمة الحس من السطر ٣ إلى ٤ « كانوا مرهفي الحس » .

(٢) « صفحة ٥ سطر ٥ » في وسط غازي أو صلب حتى تصل إلى الأذن .

(٣) « صفحة ١٢ سطر ١٧ » ولها من الحناجر ما تستطيع .

(٤) « صفحة ٢١ سطر ١٧ » وهو ساكن مثل « ب » - صوابه : وهو مشكل بالسكون مثل « ب » .

وكذلك في صفحة ٢٢ السطر الأول ٥٥ ٩ سطر ١٣ ٥٧ ٩ سطر

٤ ٧٨ ٩ سطر ١٠ ١٠٨ ٩ سطر ٧ .

فيستعاض عن كلمة : « الساكن » في كل هذه المواضع بالعبارة :

« المشكل بالسكون » ، لئلا يلتبس هذا بمعنى الصوت الساكن في

الاصطلاح الصوتي .

(٥) « صفحة ٢٦ سطر ٧ » بالأصوات المتوسطة .

(٦) « صفحة ٢٧ سطر ١٤ » نوعاً من الصفيير .

(٧) « صفحة ٣٧ سطر ٣ » إلى أقصى ما اتصال .

(٨) « صفحة ٤٣ سطر ١٠ » في اللهجات .

(٩) « صفحة ٨٥ سطر ٦ » عناية كبيرة .

(١٠) « صفحة ٩٠ سطر ١٤ » إلا بمراعاة .

(١١) « صفحة ٩٢ سطر ٢٠ » مضافاً إليه مقطعان .



## فهرس

الموضوع

الصفحة

المقدمة

٤ ، ٣

## الفصل الأول

١٧ - ٥

- (١) ظاهرة الصوت . (٢) الصوت الإنساني .
- (٣) كيف بدأ الصوت اللغوى .
- (٤) أهمية السمع فى إدراك الصوت اللغوى .

## الفصل الثانى

٣٠ - ١٧

- (١) أعضاء النطق . (٢) جهر الصوت وهمسه .
- (٣) شدة الصوت ورخاوته .
- (٤) الأصوات الساكنة وأصوات اللين .

## الفصل الثالث

٤٦ - ٣٠

- (١) مقاييس أصوات اللين .
- (٢) أصوات اللين فى اللغة العربية .
- (٣) أنصاف أصوات اللين .

الموضوع  
الفصل الرابع

الصفحة

٨٠ - ٤٦

الأصوات الساكنة ونحوها وصفاتها :

- ( أ ) الأصوات الشفوية .
- ( ب ) الصوت الشفوي الأسنانى .
- ( ج ) المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة الخارج .
- ( د ) أصوات وسط الحنك .
- ( هـ ) أصوات أقصى الحنك .
- ( و ) الأصوات الخلفية .

الفصل الخامس

١٠٦ - ٨٠

- ( أ ) طول الصوت اللغوى .
- ( ب ) المقطع الصوتى .
- ( ج ) النبر ( Stress ) .
- ( د ) موسيقى الكلام ( Intonation ) .
- ( هـ ) انتقال النبر .

الفصل السادس

١٣٥ - ١٠٦

- ( أ ) المماثلة ( Assimilation )
- ( ب ) درجات التأثير .
- ( ج ) الأمثال القرآنية الجائز فيها الإدغام .

## الفصل السابع

١٤٢ - ١٣٥

- (١) التطور التاريخي للأصوات .
- (٢) المخالفة « Dissimilation » .

## الفصل الثامن

١٤٢ - ١٦٠

(الطفل والأصوات اللغوية)

- (١) تطور الصوت اللغوي عند الطفل .
- (٢) طريق الصواب في محاكاة الطفل .
- (٣) صياغة كلمات من مناغاة الأطفال .

## الفصل التاسع

١٨٢ - ١٦٠

(عوامل تطور الأصوات اللغوية)

- (١) اختلاف أعضاء النطق .
- (٢) البيئة الجغرافية .
- (٣) الحالة النفسية .
- (٤) نظرية السهولة .
- (٥) نظرية الشيوع .
- (٦) مجاورة الأصوات .
- (٧) انتقال النبر .

## الفصل العاشر

١٩٦ - ١٨٢

أثر العادات الصوتية في تعلم اللغات الأجنبية .

## أهم المراجع العربية

- (١) ابن جنى :
    - أ ( الخصائص .
    - ب ( سر صناعة الإعراب .
  - (٢) المسبرد : المقتضب .
  - (٣) سيديويه : الكتاب .
  - (٤) ابن يعيش : شرح المفصل .
  - (٥) ابن الجزرى :
    - أ - النشر فى القراءات العشر .
    - ب - التمهيد .
  - (٦) أبو عمرو الدانى :
    - أ - التيسير فى القراءات السبع .
    - ب - جامع البيان فى القراءات السبع .
  - (٧) ابن الفحام الصقلى : التجويد لبغية المرید .
  - (٨) ابن بكر بن أحمد حماد .
- اتحاف العباد فى معرفة النطق بالضاد .



## أهم المراجع الأفرنجية

- 1) D. C. Miller :  
The Science of Musical Sounds.
- 2) Sir Richard Paget :  
Human Speech.
- 3) W. H. T. Gairdner :  
The Phonetics of Arabic.
- 4) G. Noel - Armfield :  
General Phonetics.
- 5) Leonard Bloomfield :  
The Study of Language.
- 6) Otto Jespersen :  
Language. (Its nature, development and origin)
- 7) B. Dunville :  
The Science of Speech
- 8) D. Jones :  
Outline of English Phonetics.
- 9) W. Perrett :  
Some questions of Phonetic Theory.
- 10) L. Soames :  
Introduction To Phonetics.
- 11) Henry Sweet :  
A Primer of Phonetics.
- 12) W. D. Whitney :  
a) Language and the Study of Language.  
b) The Life and Growth Of Language.
- 13) V. E. Negus.  
The Mechanism of the Larynx.
- 14) A. Werner :  
Language — Families of Africa.

